غير مرخصة للطباعة

المحور السابـع

فقه الأُمَّة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

١١٦

الوقت في حياة المسلم

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾

[إبراهيم: ٣٣، ٣٤].

﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾

[الكهف: ٤٩].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾

[الفرقان:٦٢].

نسخة مجانية

٥

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي بَرْزَة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسْأَل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سبعًا هل تنظرون إلا إلى فقرٍ مُنْسٍ، أو غِنًى مُطْغٍ، أو مرض مُفْسِد، أو هَرَم مُفَنِّدٍ، أو مَوْت مُجْهِزٍ، أو الدجَّال فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرُّ**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

أحمد الله ﷻ على تقديم هذه الطبعة الثانية من كتاب «الوقت في حياة المسلم»، لِتُطْبَع في مصر العزيزة، حرسها الله للإسلام.

وقضية «الوقت» ليست إحدى قضايا حياة المسلم، بل هي على رأس هذه القضايا، فما الوقت إلَّا الحياة، وما هذه الدقائق والثواني فضلًا عن الساعات والأيام إلَّا العمر الإنساني، وإلَّا الحياة الإنسانيَّة!

والحقيقة أنَّ البون شاسع بين موقف الإسلام من الوقت، وهو الموقف الَّذي يُحصي كل دقيقة، ويُحاسبه عليها إن عملًا وإن كسلًا، وبين أسلوب المسلمين في الحياة، وهو الأسلوب الَّذي يتفنَّن في إهدار الوقت بكل الطرق، سواء في المقاهي، أم في المكاتب الحكوميَّة، أم في مشاهدة المباريات الرياضيَّة بقصد التصفيق والتأييد لنادٍ من الأندية أو للاعبٍ من اللاعبين!

وفي الوقت الَّذي تفيدنا فيه التقارير أنَّ عطاء الإنسان الأوربي اليومي يتجاوز السبع ساعات، تفيدنا التقارير الرسميَّة أنَّ عطاء الإنسان المسلم لا يتجاوز ثلاثين دقيقة.

QaradawiBooks.com

فهل يمكن أن تكــون هكذا حياة المســلم؟! وهل يمكــن أنْ يكون المسلمون على هذا المســتوى الرديء، ودينهم هو هذا الدِّين الَّذي يقول كتابــه الكريم على لســان المجرميــن يوم القيامــة: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]؟!

كلَّا، فهذا المستوى لم يعد يُقبل السكوت عليه في عصر تتبارز فيه القُوى الكبرى على استغلال كلِّ دقيقة في البحار والفضاء!

وكتابنا هذا يعالج قضية «الوقت» من شــتَّى جوانبها. وهو وإنْ كان دراسة علميَّة توخَّيْنا فيها كلَّ شروط البحث العلمي، إلَّا أنَّنا نعترف بأنَّ لها هدفًا محدَّدًا هدفنا إليه، وهو أن يستيقظ المسلمون من غفلتهم، وأن يُعيدوا تقويم نظرتهم للوقت وقيمته، أعني: للحياة وقيمتها.

ولهذا فنحن سعداء إذ نُقَدِّم هذه الطبعة، آملين منها تحقيق ما هدفنا إليه. والله من وراء القصد، وهو حسْبُنا ونِعْمَ الوكيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاةُ والسلام على رسوله المبعوث رحمةً للعالَمين، وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بسُنَّته إلى يوم الدِّين.

وبعد، فهذه صحائف كنتُ كتبتُها عن نعمة «الوقت» وقيمته في حياة الإنسان المسلم وواجب المسلم نحوه، دفعني إلى كتابتها ما عرفته من اهتمام الإسلام البالغ في كتابه وسُنَّته بالوقت.

وما لمسته لدى المسلمين في قرونهم الأولى ـ وهي خير القرون ـ من حرصٍ شديدٍ على أوقاتهم، فاق حرص من بعدهم على دراهمهم ودنانيرهم، ممَّا كان حصاده علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، وجهادًا مبرورًا، وفتحًا مبينًا، وحضارةً راسخة الجذور، باسقة الفروع.

ثمَّ ما عايشتُه وأعايشه اليومَ في دُنيا المسلمين من إضاعة للأوقات، وتبذير للأعمار، جاوز حدَّ السَّفَه إلى العَتَه، حتَّى غَدَوْا في ذيل القافلة، وقد كانوا منها في مأخذ الزمام، فلا عملوا لعمارة دنياهم، شأن أهل الدنيا، ولا لعمارة آخرتهم، شأن أهل الدِّين، بل خرَّبوا الدارَيْن، وحُرِمُوا الحُسْنَيَيْن! ولو فقهوا لعملوا للدُّنْيا كأنَّهم يعيشون أبدًا، وعملوا للآخرة كأنَّهم يموتون غدًا.

QaradawiBooks.com

وجعلوا شعارهم الدعاء القرآني الجامع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فعسى أن يعلِّمهم الزمان، ويُنَبِّههم اختلافُ الليل والنهار، إن كانوا من أولي الألباب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٤].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عناية القرآن والسُّنَّة بالوقت

عُنِي القرآن والسُّنَّة بالوقت من نواحٍ شتَّى، وبصورٍ عديدة:

وفي مقدِّمة هذه العناية: بيان أهميته، وعِظَم نعمة الله فيه، يقول القرآن في معرض الامتنان، وبيان عظيم فضل الله تعالى على الإنسان: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢]. أي: جعل الليل يخلُف النهار، والنهار يخلُف الليل، فمن فاته عملٌ في أحدهما حاول أن يتداركه في الآخر.

ولبيان أهمِّيَّة الوقت أقسم الله تعالى في مطالع سُوَرٍ عديدةٍ من القرآن المَكِّي بأجزاءٍ معيَّنة منه، مثل: الليل والنهار، والفجر، والضُّحى والعصر، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، ﴿وَٱلْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١، ٢].

ومن المعروف لدى المُفَسِّرين وفي حسِّ المسلمين: أنَّ الله إذا أقسم بشيءٍ من خلقه، فذلك ليلفت أنظارهم إليه، ويُنبِّههم على جليلِ منفعته وآثاره.

وجاءت السُّنَّة النبويَّة تؤكِّد قيمة الوقت، وتُقَرِّر مسؤوليَّة الإنسان عنه أمام الله يوم القيامة، حتَّى إنَّ الأسئلة الأربعة الأساسيَّة الَّتي تُوجَّه إلى المكلَّف يومَ الحسابِ يخصُّ الوقتَ منها سؤالان رئيسيَّان: فعن معاذ بن جبلٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسأل عن أربعِ خِصَالٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه من أينَ اكتسبَه، وفيما أنفقه، وعن عِلْمِه ماذا عمل فيه**»[1].

وهكذا يُسأل الإنسانُ عن عمره عامَّة، وعن شبابه خاصَّة، والشباب جزء من العمر، ولكنْ له قيمة متميِّزة باعتباره سنَّ الحيويَّة الدافقة، والعزيمة الماضية، ومرحلة القوَّة بين ضَعْفَين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

شعائر الإسلام وآدابه تُؤكِّد قيمة الوقت:

وجاءت الفرائض الإسلاميَّة والآداب الإسلاميَّة تثبت هذا المعنى الكبير: قيمة الوقت والاهتمام بكلِّ مرحلةٍ منه، وكلِّ جزءٍ فيه، وتُوقِظ في الإنسان الوعيَ والانتباهَ إلى أهمِّيَّة الوقت مع حركة الكون، ودورةِ الفَلَك، وسير الشمس والكواكب، واختلافِ الليل والنهار.

فحينما يتصدَّع الليل، ويُسْفِرُ نقابه عن وجهِ الفجر، يقوم داعي اللهِ يملأ الآفاق ويسكبُ في مَسْمَعِ الزمان، مُنبِّهًا للغافلين، مُوقظًا للنائمين:

(١) رواه البزار (٢٦٤٠)، والطبراني (٦٠/٢٠)، وصحَّح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٤٤٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣٧٣): رجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩٣): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

أن يقوموا ليتلقَّوا الصباحَ الطهور من يد الله: «حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح»، «الصلاةُ خيرٌ من النوم»، فتُجِيبُه الألسنة الذاكرة، وتَحُلُّ كلَّ عُقَدِ الشيطان، حيث تقومُ بسرعةٍ إلى الصلاة.

وحين يقوم قائم الظَّهِيرة، وتزول الشمس عن كَبِدِ السماء، ويغرق النَّاس في لُجَجِ المشاغل الدنيويَّة، والمتاعب اليوميَّة، يعود المنادي ينادي مرةً ثانيةً، مُكَبِّرًا مُهَلِّلًا، شاهدًا لله بالوحدانية، ولنبيِّه مُحَمَّد بالرسالة، داعيًا إلى الصلاة والفلاح.

وهنا يُنْتَزع النَّاس من براثن أعمالهم، وروتين حياتهم، ليقفوا بين يَدَيْ خالقهم ورازقهم ومُدبِّر أمرهم دقائقَ مَعْدُودات، يُخَفِّفون فيها من غلواء التصارُع على المادَّة، والاستغراق في طلب الدنيا، وذلك في صلاة وَسَط النَّهَار: صلاة الظهر.

وحين يصير ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله، وتبدأ الشمسُ تميلُ للمغيب، يُنادي المنادي مرَّة ثالثة، داعيًا إلى صلاة العصر.

وحين يختفي قُرْصُ الشمس، ويغيب وجهها من الأفق، ينادي داعي الله مرَّة رابعة، مُؤَذِّنًا لصلاةِ آخرِ النَّهار وأوَّل الليل: صلاة المغرب.

وحين يغيبُ الشَّفَقُ الأحمر يرتفع الصوت الربَّاني بالأذان الأخير للصلاة الخاتمة ليوم المسلم: صلاة العشاء.

وبهذا يفتتح يومَه بالصلاة، ويختتمه بالصلاة، وهو بين الصلاتين: الفجر والعشاء على موعدٍ دائمٍ متجدِّد مع الله، كلَّما دار الفَلَك، واختلف اللَّيلُ والنَّهار.

وفي كلِّ أسبوعٍ يجيء يومُ الجمعة ليُنادي فيه المنادي نداءً جديدًا،

QaradawiBooks.com

يدعو إلى صلاةٍ أسبوعيَّة جماعيَّة ذاتِ وضعٍ خاصٍّ، وشروطٍ خاصَّة هي صلاة الجمعة.

وفوق هذه الصلوات المفروضة هناك صلاة الليل بالأسحار، يقوم بها عباد الرحمٰن الَّذين يبيتون لربِّهم سُجَّدًا وقيامًا، وصلاة الضحى، وصلوات النوافل في أوقات شتَّى من اليوم والليلة.

وفي مطلع كلِّ شهرٍ يَبْزُغ الهلال، فيستقبله المسلمُ مُهَلِّلًا مُكَبِّرًا داعيًا ربَّه، مناجيًا هذا الوليد الجديد: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الحمد لله الَّذي خلقكَ، وقدَّرَك منازلَ، وجعلك آيةً للعالمين، اللهمَّ أَهِلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لِمَا تحبُّ وترضى، هلالُ خيرٍ ورُشْد، ربِّي وربُّك الله.

وفي شهر رمضان من كلِّ عام، حيث تُفتَحُ أبواب الجنَّة، وتُغلَق أبواب جهنَّم، وتُصَفَّد الشياطين، ينادي منادٍ آخرُ من السماء لا من الأرض: يا باغيَ الخيرِ أقبلْ، ويا باغيَ الشرِّ أقْصِرْ.

هنالك يتوبُ العاصي، ويُقبلُ المُعْرِض، وينتَبه الغافل، ويعود كثيرٌ من الشاردين إلى ساحة الله، يلتمسون رضاه ومغفرته بحُسْن الصيام، وحسن القيام، كما وعدهم رسوله الكريم: «**مَن صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تَقَدَّم من ذنبه**»[١]، «**ومَن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذَنْبِه**»[٢].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩) (١٧٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩) (١٧٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وبعد هذه السياحة الرُّوحيَّة في شـــهر رمضان، تَتْبَعها سياحةٌ أخرى ماديَّة ورُوحيَّة معًا، هي ســـياحة الحجِّ الَّذي تبدأ أشـــهره بمجرَّدِ انتهاء رمضان: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

لقد كان بعض الســـلف يُسَـــمُّون الصلوات الخمس «ميزان اليوم»، ويُسَـــمُّون الجمعة «ميزان الأســـبوع»، ويُسَـــمُّون رمضان «ميزان العام»، ويُسَمُّون الحجَّ «ميزان العمر»؛ حرصًا منهم على أن يسلم لأحدهم يومه أولًا، فإذا مضى اليوم كان همُّه في سلامة الأسبوع، ثُمَّ في سلامة العامِّ، ثمَّ في سلامة العمر في النهاية، وذلك هو مِسْكُ الختام.

وبجانب هذا وذاك فريضة الـــزكاة الَّتي تَجبُ كلَّ حـــولٍ في مُعْظَمِ الأحوال، وعند كلِّ حصادٍ وجَنْيٍ في الزروع والثمار: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وبهذا يظلُّ المسلم مُنْتَبِهًا لمسيرةِ الزمن، مراقبًا لحركته حتَّى لا يُؤَخِّر الزكاة عن موعد وجوبها، إذا حال الحول أو جاء أوان الحصاد.

خصائص الوقت:

وللوقت خصائص يتميَّز بها، يجب علينا أنْ نُدْرِكَها حقَّ إدراكها، وأنْ نتعاملَ معه على ضوئها، منها:

١ ـ سرعة انقضائه:

فهو يمرُّ مرَّ الســـحاب، ويجري جَرْي الرِّيح، ســـواء كان زمنَ مَسَرَّة وفَرَحٍ، أم كان زمنَ اكتئابٍ وتَرَحٍ، وإن كانت أيام الســـرور تمرُّ أســـرع،

وأيام الهموم تسير ببطءٍ وتثاقل، لا في الحقيقة، ولكن في شعور صاحبها، يقول أحد الشعراء:

مرَّتْ سُنُونَ بِالْوِصَالِ وبِالهَنَا فَكَأَنَّهَا مِنْ قَصْرِهَا[1] أَيَّامُ
ثُمَّ انْثَنَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ بَعْدَها فَكَأَنَّهَا مِنْ طُولِهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ[2]

ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدُّنْيا فهو قصير، ما دام الموت هو نهاية كلِّ حيٍّ، ورحم الله الشاعر الَّذي قال:

وَإِذَا كَانَ آخِرُ العُمْرِ مَوْتًا فَسَوَاءٌ قَصِيرُهُ والطَّوِيلُ[3]

وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود الَّتي عاشها الإنسان، حتَّى لكأنَّها لحظاتٌ مرَّت كالبرق الخاطف.

يحكون عن شيخ المرسلين نُوحٍ ﷺ أنَّه جاءه مَلَكُ الموت ليتوفَّاه بعد أكثر من ألف سنةٍ عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطولَ الأنبياء عمرًا، كيف وجدتَ الدنيا؟ فقال: كدارٍ لها بابان، دخلتُ من أحدهما، وخرجتُ من الآخر[4]!

وسواء صحَّت هذه القصَّة أم لم تصحَّ؛ فإنَّها تُعَبِّر عن حقيقةٍ مُقَرَّرة،

---

(١) قال ابن سيده: الْقَصْرُ وَالْقِصَرُ فِي كلِّ شَيْءٍ: خلافُ الطول. المحكم والمحيط الأعظم (١٩٢/٦)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) الأبيات لأبي تمام بلفظ مشابه، انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي (١٦٠/٢)، تحقيق د. عبد الله المحارب، نشر مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٤م، وانظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي (٧٣/٢)، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٤هـ.

(٣) هو بهاء الدين الروَّاس، متصوِّف عراقي.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (٣٥٨)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

هي تضاؤل الأعمار عند الموت، ومثل ذلك عند قيام السـاعة، يتراءى للإنسان قِصَرُ ما فات، وضآلته، حتَّى يقول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، وفي آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

٢ ـ أنَّ ما مضى منه لا يعودُ ولا يُعَوَّض:

وهذه خصيصة أخرى من خصائـص الوقت، فكلُّ يومٍ يمضي، وكلُّ سـاعةٍ تنقضي، وكلُّ لحظةٍ تمرُّ، ليس في الإمكان استعادتها، وبالتَّالي لا يمكن تعويضهـا، وهذا ما عبَّر عنه الحسـن البصري بقولـه البليغ: «ما من يومٍ ينشـقُّ فجره إلَّا وينادي: يا ابنَ آدم، أنـا خَلْقٌ جديد، وعلى عَمَلِكَ شهيدٌ، فتزوَّد مِنِّي؛ فإنِّي إذا مَضَيْتُ لا أعودُ إلى يومِ القيامة»[(١)].

وليس هذا حديثًا مرفوعًا كما حَسِـبَ بعض الناس، بل هو من كلام الحسن البصري الَّذي قال فيه الإمام عليٌّ زَيْنُ العابدين: «هذا الَّذي يُشْبِهُ كلامُه كلامَ الأنبياء»[(٢)].

ولهذا رأينا الشـعراء والأدباء بعد بلوغ المشـيب يتمنَّوْن عودةَ أيامِ الشباب مرَّة أخرى، ولكنَّه مَحْضُ تَمَنٍّ لا يُفِيدُ في كثيرٍ ولا قليل. يقول قائلهم:

أَلَا لَيْـتَ الشَّـبَابَ يَعُـودُ يَوْمًا فَأُخْبِـرُهُ بِمَـا فَعَلَ الْمَشِـيبُ[(٣)]!

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كلام الليالي والأيام (٢٢)، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٤٧/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٣) هو أبو العتاهية. انظر: التذكرة الحمدونية (٢٠/٦)، نشـر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. وديوانه صـ ٤٦.

QaradawiBooks.com

ويُصَوِّرُ شاعرٌ آخرُ كيف يمضي العمر وتذهب أيامه ولياليه بلا رجعة، ولا أمل في رجعة، فيقول:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا رَاكِبٌ ظَهْرَ عُمْرِهِ عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ
يَبِيتُ ويُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى القَبْرِ

٣ ـ أنَّه أنفس ما يملك الإنسان:

ولمَّا كان الوقتُ سريعَ الانقضاء، وكان ما مضى منه لا يرجع، ولا يُعَوَّض بشيء، كان الوقت أنفسَ وأثمنَ ما يملك الإنسان، وتَرْجِعُ نَفَاسة الوقت إلى أنَّه وعاءٌ لكلِّ عملٍ وكلِّ إنتاج، فهو في الواقع رأسُ المال الحقيقي للإنسان، فردًا أو مجتمعًا.

إنَّ الوقت ليس من ذهبٍ فقط، كما يقول المثل الشائع، بل هو أغلى في حقيقة الأمر من الذهب واللؤلؤ والماس، ومن كلِّ جوهرٍ نفيسٍ وحَجَرٍ كريم. إنَّه ـ كما قال الشهيد حسن البنَّا ـ هو الحياة[١]. فما حياة الإنسان إلَّا الوقت الَّذي يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة.

وفي هذا قال الحسن البصري أيضًا: «يا ابنَ آدم، إنَّما أنت أيامٌ مجموعة، كلَّما ذهب يوم ذهب بعضُك»[٢]!

ومَن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته، وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم:

---

(١) كان حسن البنا يكتب لجريدة الإخوان المسلمون اليومية صباح كلِّ جمعة، بعنوان: الوقت هو الحياة. يخطِّئ فيه المثل الشائع: الوقت من ذهب.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الموقف الأوَّل: ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنَّى لو مُنِحَ مُهلةً من الزمن، وأُخِّر إلى أجل قريب؛ ليصلح ما أفسد، ويتدارك ما فات، وفي هذا يقول القرآن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ٩، ١٠].

وكان الردُّ على هذه الأمنية الفارغة قاطعًا ومانعًا: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١١].

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوَفَّى كل نفس ما عملت، وتجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النار النار، هناك يتمنَّى أهل النَّار لو يعودون مرَّة أخرى إلى حياة التكليف ليبدؤوا من جديد عملًا صالحًا، وهيهات هيهات لما يطلبون، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء. يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ۝ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

وانقطعت حُجَّتهم بهذا السؤال التقريعي: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فلم يجدوا له جوابًا.

فقد قطع الله الأعذار حين أعطى كلَّ مكلَّف من العمر ما يتسع لعمل ما كُلِّف به، ويذكره إذا غَفِل عنه، وبخاصة من عاش حتَّى بلغ الستين من عمره، ففي هذا القدر من السنين ما يكفي لأن ينتبه الغافل، ويؤوب

QaradawiBooks.com

الشـــارد، ويتوب العاصي، وفي الحديث الصحيح: «**أَعْذَرَ اللهُ إلى امرئٍ أمهله حتَّى بلَّغه سِتِّين عامًا**»[١].

غير مرخصة للطباعة

واجب المسلم نحو الوقت:

وإذا كان للوقت كلُّ هذه الأهمِّيَّة حتَّى ليُعَدُّ هو الحياة حقًّا، فإنَّ على الإنسان المســـلم واجبًا، بل واجبات نحو وقته، ينبغي أن يَعِيَها ويضعَها نُصْبَ عينَيْـــه، وأن ينقلها من دائرة المعرفـــة والإدراك إلى دائرة الإيمان والإرادة، فدائرةِ العملِ والتنفيذ.

الحرصُ على الاستفادة من الوقت:

وأوَّل واجبٍ على الإنســـان المســـلم نحو وقته: أنْ يُحافظ عليه كما يُحافظ على ماله، بل أكثر منه، وأن يحرص على الاستفادة من وقته كلِّه، فيما ينفعه في دينه ودنياه، وما يعود على أُمَّته بالخير والسعادة، والنماء الرُّوحي والمادي.

وقد كان الســـلف رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنَّهم كانوا أعرف النَّاس بقيمتها.

يقول الحسن البصري: «أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم»[٢]!

ومن هنا كان حرصهـــم البالغ على عمارة أوقاتهـــم بالعمل الدائب

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) ذكره البغوي في شرح الســـنة (٢٢٥/١٤)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

والحذر أن يضيع شـــيءٌ منه في غير جدوى. يقول عمر بن عبد العزيز: «إنَّ الليل والنَّهَار يعملان فيكَ، فاعملْ فيهما»[١].

وكانوا يقولون: من علامة المَقْتِ إضاعـــةُ الوقت. ويقولون: الوقتُ سَـــيْفٌ، إن لم تقطعْه قطعَك. وكانوا يحاولون دائمًا الترقِّي من حالٍ إلى حالٍ أحسن منها، بحيث يكون يومُ أحدِهم أفضلَ من أمسه، وغدُه أفضلَ من يومه، ويقول في هذا قائلهم: من كان يومه كأمســـه فهو مغبونٌ، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعونٌ[٢]!

وكانوا يحرصون كلَّ الحرص على ألَّا يمرَّ يوم أو بعض يومٍ أو بُرْهة من الزمان وإن قصُرت دون أن يتزوَّدوا منها بعلمٍ نافع، أو عملٍ صالح، أو مجاهدةٍ للنفس، أو إســـداءِ نفعٍ إلى الغير، حتَّى لا تتســـرَّبَ الأعمارُ سُدًى، وتَضيع هباءً، وتذهب جُفاءً، وهم لا يشعرون.

وكانوا يعتبرون من كفران النعمة ومن العقوق للزمن: أن يمضي يومٌ لا يســـتفيدون منه لأنفســـهم، ولا للحياة من حولهم، نُمُوًّا في المعرفة، ونُمُوًّا في الإيمان، ونُمُوًّا في عمل الصالحات.

يقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شـــيءٍ ندمي على يومٍ غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزدْ فيه عملي[٣].

وقال آخر: كلُّ يوم يمرُّ بي لا أزدادُ فيـــه علمًا يُقَرِّبني من الله تعالى، فلا بورك لي في طلوع شمسِ ذلك اليوم.

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق صـ ٢٩، عن بعض الحكماء. تحقيق مجدي السـيد إبراهيم، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٢) انظر: لطائف المعارف لابن رجب صـ ٣٠٠، نشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٣٣٦/١)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

QaradawiBooks.com

وقد رفع هذا بعضُهم إلى النبـــيِّ ﷺ، وقد ردَّه ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»[١]، وقال: حسْبه أن يصل إلى بعض الصحابة أو التابعين.

وفي هذا قال الشاعر:

إذا مرَّ بي يـــومٌ ولم أَقْتَبِسْ هُدًى ولم أستفدْ علمًا فما ذاكَ من عُمْرِي[٢]

وقال حكيم: من أمضى يومًا من عمره في غير حقٍّ قضاه، أو فرضٍ أدَّاه، أو مجْدٍ أثَّله، أو حمدٍ حصَّله، أو خيرٍ أسَّســـه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يومه، وظلم نفسه!

قَتَلَةُ الوقت:

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت وتقدير قيمته وخطره، فإنَّ ممَّا يدمي القلب، ويمزِّق الكبد أسًى وأسفًا: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حدَّ التبذير إلى التبديد.

والحق أنَّ السَّفه في إنفاق الأوقات أشـــدُّ خطرًا من السفه في إنفاق الأموال، وإنَّ هؤلاء المبذرين المبددين لأوقاتهم لأحق بالحجر عليهم من المبذرين لأموالهم؛ لأنَّ المال إذا ضاع قد يعوَّض، والوقت إذا ضاع لا عوض له.

ومن العبارات الَّتي أصبحـــت مألوفة لكثرة ما تدور على الألســـنة وما تقال في المجالـــس والأندية عبـــارة: «قتل الوقـــت»، فترى هؤلاء

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٢٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) هو أبو الفتح البســـتي. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٢٣٦/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، وهو في ديوانه صـ ٨٤ بلفظ مشـــابه، تحقيق درية الخطاب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

المُبَذِّرين أو المُبَدِّدين يجلسون الساعات الطِّوَال من ليلٍ أو نهارٍ حول مائدة النَّرْد، أو رقعة الشِّطْرَنج، أو لُعْبة الوَرَق، أو غير ذلك ـ ممَّا يَحِلُّ أو يَحْرُمُ ـ لا يبالون، لاهين عن ذكر الله، وعن الصلاة، وعن واجبات الدِّين والدُّنيا، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع، قالوا لك بصريح العبارة: إنَّما نريد أن نقتل الوقت! وما يدري هؤلاء المساكين أنَّ من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه! فهي جريمة انتحار بطيء تُرتَكب على مرأى ومسمع من النَّاس، ولا يعاقب أحد عليها! وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها، ولا يدري مدى خطرها؟!

اغتنام الفراغ:

ومن النِّعَم الَّتي يغفل كثير من النَّاس عنها، ويجهلون قدرها، ولا يقومون بحقِّ شُكْرها: نعمة الفراغ.

روى البخاريُّ عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحَّة، والفراغ**»[1].

يقصد بالفراغ الخلوَّ من المشاغل والمُعَوِّقات الدنيويَّة، المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخرويَّة.

ولا ينافي هذا ما جاءت به النصوص الكثيرة من حثٍّ على الكسب وطلب المعاش، ما دام ذلك لا يغرقه في لجَّة الحياة ومطالبها، ولا يعطِّله عن القيام بحقِّ الله تعالى.

والأصل في الغَبْن أنْ يكون في البيع والشراء والتجارة، وهنا ـ كما يقول العلَّامة المُنَاوي ـ شبَّه المُكَلَّف بالتاجر، والصحَّة والفراغ برأس

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢).

QaradawiBooks.com

المال؛ لكونهما من أسباب الأرباح، ومُقَدِّمات النجاح، فمن عامل اللهَ بامتثال أوامره رَبِحَ، ومن عامل الشيطان باتِّباعه ضيَّع رأسَ ماله[١].

وفي الحديث الآخر: «**اغتنمْ خمسًا قبل خمس**» ـ وعدَّ منها: «**وفراغك قبل شُغْلك**»[٢].

والفراغ لا يبقى فراغًا أبدًا، فلا بدَّ له أن يملأ بخير أو شر، ومَن لا يشغل نفسه بالحقِّ شغلته نفسه بالباطل، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح، وويلٌ لمن ملأه بالشرِّ والفساد.

يقول بعض الصالحين: فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأنْ فتح على نفسه باب الهوى، وانجرَّ في قِيَاد الشهوات، شوَّش اللهُ عليه نعمة قلبه، وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه.

ويقول صاحب الحكم: «الخذلان كلُّ الخذلان أن تتفرَّغ من الشواغل ثمَّ لا تتوجَّه إليه، وتقلُّ عوائقك ثمَّ لا ترحل إليه». يعني: المولى جلَّ جلالُه[٣].

وكان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون فارغًا، لا هو في أمر دينه، ولا هو في أمر دنياه. وهنا تنقلب نعمةُ الفراغ نقمةً على صاحبها، رجلًا كان أو امرأةً، ولهذا قيل: الفراغُ للرجالِ غفلة، وللنساء غُلْمَة. أي: مُحَرِّك للغريزة، والتفكير في أمر الشهوة، وهل كان تعلُّق امرأة

(١) انظر: فيض القدير (٦/٢٨٨)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٤/٣٠٦)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

(٣) شرح الحكم العطائية صـ ٤٤٠، تحقيق د. عبد الحليم محمود، د. محمد بن الشريف، نشر مكتبة دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

العزيز بيوسف وشَغَفُها به وتدبيرُها المكايد لإيقاعه في شباكها، إلَّا نتيجة الفراغ الَّذي تعيش فيه؟ ويشتدُّ خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفراغ الشباب الَّذي يتميَّز بقوة الغريزة، والجِدَة، أي: القدرة الماليَّة الَّتي تمكِّن الإنسان من تحصيل ما يشتهي. وفي هذا يقول أبو العتاهية في أرجوزته:

إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ[1]!

ويقول الآخر:

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْهِ شُغْلًا وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ[2]

يعني بالشُّغل الَّذي هاجه الفراغُ عليه: شغل القلب وتعلُّقه بالشهوات وأحلامِ اليقظة، ممَّا لا يثمر إلَّا سوء العواقب في الآخرة والأولى.

المسارعة في الخيرات:

ويجدر بالمؤمن الَّذي يُقَدِّر قيمة الوقت وأهميته أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلًا، ولكن لا يكفي أن ينهض إلى الخير في تثاقل وتكاسل، أو يُؤَدِّي بعضه ويُؤَجِّل بعضه، أو يُؤَخِّره كلَّه من يومٍ إلى آخر، عجزًا أو كسلًا. وقد قال الشاعر:

وَلَا أُؤَخِّرُ شُغْلَ الْيَوْمِ عَنْ كَسَلٍ إِلَى غَدٍ إِنَّ يَوْمَ العَاجِزِينَ غَدُ[3]!

ومن الأدعية والأذكار الَّتي علَّمها النبيُّ ﷺ أُمَّتَه؛ ليقولها المسلم في

(١) وهي أرجوزة ذات الأمثال، التي جمع فيها الأمثال السائرة، انظر: ديوانه صـ ٤٩٥، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٢) ذكره من غير نسبة الثعالبي في التمثيل والمحاضرة صـ ٣٩٩، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٣) ذكره من غير نسبة الشيخ عبد الله الشبراوي في عنوان البيان وبستان الأذهان صـ٤٢، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١.

QaradawiBooks.com

إصباحه وإمسائه: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَنِ، وأعوذ بك من العَجْزِ والكَسَل**»(١).

ومن ثمَّ أمر القرآن الكريم باستباق الخيرات والمسارعة إليها قبل أن تشغل عنها الشواغل، أو تعوق العوائق، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨].

ويقول معقبًا على أهل الكتاب وما أنزل عليهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ويقول جل شأنه مرغِّبًا في الجنَّة ونعيمها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وفي آيةٍ أخرى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

فهو يأمر بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرة الله وجنته، أي: إلى أسبابها، وهي الإيمان، والتقوى، والعمل الصالح. والتسابق والتنافس هنا مطلوب ومحمود: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]. وقد أثنى الله على بعض أنبيائه المصطفين الأخيار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنَّهم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٢٨٩٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وعلى حين ذمَّ المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وكان النبيُّ ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول العوائق والفتن، ويقول: «**هل تنتظرون إلَّا غنًى مُطغِيًا، أو فقرًا مُنسيًا، أو مرضًا مُفسدًا، أو هَرَمًا مُفَنِّدًا**[1]**، أو موتًا مُجهِزًا، أو الدجَّالَ فشرُّ غائبٍ يُنْتَظَرُ، أو الساعةَ، والساعةُ أدهى وأَمَرُّ**»[2].

الاعتبار بمرور الأيام:

وينبغي للمؤمن أن يتَّخذ من مرور الليالي والأيَّام عِبْرَة لنفسه، فإنَّ الليل والنَّهار يُبلِيَان كلَّ جديد، ويُقرِّبان كلَّ بعيد، ويطويان الأعمار، ويُشِيبان الصغار، ويُفْنيان الكبار. كما قال الشاعر قديمًا:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وأَفْنَى الْكَبِيـ ... ـرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِيّْ
إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا ... أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِيّْ[3]

إنَّ مُضي الزمن، واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يَمُرَّ بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به، والتفكير فيه، ففي كلِّ يومٍ يمرُّ، بل في

(١) مفندًا: موقعًا في الفند، وهو كلام الرجل الكبير الذي خَرِف.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٠٦)، وقال: حسن غريب. وأبو يعلى (٦٥٤٢)، والحاكم في الرقاق (٧٩٠٦) وصحَّح إسناده، وقال الذهبي: إن كان معمر سمع من المقبري فالحديث صحيح. عن أبي هريرة.

(٣) هو الصَّلتان العبديُّ، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (٤٩٣/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

كلِّ ساعةٍ تمضي، بل في كلِّ لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتَّى، منها ما يُرى وما لا يُرى، ومنها ما يُعلم، وما لا يُعلم، من أرض تحيا، وحبَّة تنبت، ونبات يُزهِر، وزهر يُثمر، وثمر يُقطف، وزرع يُصبح هشيمًا تذروه الرياح. أو من جنينٍ يتكوَّن، وطفلٍ يولد، ووليدٍ يَشِبُّ، وشابٍّ يكتهل، وكهلٍ يَشِيخ، وشيخٍ يموت، ومن أحوال تدور على النَّاس كلَّما دار الفَلَك من فوق، أو دارت الأرض من تحت، بين يُسْرٍ وعُسْرٍ، وغنًى وفقْرٍ، وصحَّةٍ وسَقَم، وسرورٍ وحزن، وشدَّة ورخاءٍ، وسرَّاءَ وضرَّاءَ. وفي كلِّ ذلك آيةٌ لمن كان له لبٌّ، وذكرى لمن كان له قلب، وعبرةٌ لمن كان له بصر. أمَّا مَن حُرم تفكُّر أولي الألباب، وإحساس ذوي القلوب، ونظر أولي الأبصار، فلن يفيده اختلاف الليل والنهار، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ويقول جل شأنه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

تنظيم الوقت:

وينبغي للإنسان المؤمن أن يُنَظِّم وقته بين الواجبات، والأعمال المختلفة، دينيَّة كانت أو دنيويَّة، حتَّى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفةٍ عاجلةٍ يجب أن يُبادَرَ به ويُؤخَّر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقتٍ مُحَدَّد يجب أن يعمل في وقته.

وممَّا رواه النبيُّ ﷺ عن صحف إبراهيم: «**ينبغي للعاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا على عقله ـ أن يكون له أربعُ ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه،**

QaradawiBooks.com

وساعة يُحاسِبُ فيها نفسه، وساعة يتفكَّر في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب»[١].

وأحوج النَّاس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من النَّاس من أصحاب المسؤوليات؛ لتزاحم الأعباء عليهم، حتَّى إنَّهم ليشعرون أنَّ الواجبات أكثر من الأوقات.

ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإنَّ النفس تسأم بطول الجِدِّ، والقلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان، فلا بدَّ من قَدْرٍ من اللهو والترفيه المباح.

كما قال عليٌّ رضي الله عنه: «روِّحوا القلوبَ ساعةً بعد ساعة، فإنَّ القلب إذا أُكْرِهَ عَمِيَ»[٢].

ولا يحسن بالمرء المسلم أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقًا يُضْعِف من قُوَّته، ويحول دون استمرار مسيرته، ويحيف على حقِّ نفسه، وحقِّ أهله، وحقِّ مجتمعه، ولو كان هذا الإرهاق في عبادة الله تعالى صيامًا وقيامًا وتنسُّكًا وزهدًا.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ لأصحابه لمَّا رآهم تكاثروا للصلاة خلفه في الليل: «**خُذُوا من الأعمال ما تُطِيقون، فإنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**»[٣].

---

(١) رواه ابن حِبَّان في البرِّ والإحسان (٣٦١)، مرفوعًا عن أبي ذرٍّ، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيفٌ جدًّا. ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (١٩٧٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٥٢)، عن وهبِ بن مُنَبِّه قال: وجدت في حكمة آل داود. ولعلَّه أشبه بالصواب.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٠/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٦١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وفي موقف آخر قال: «**إنَّ الدِّين يُسْر، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسَدِّدوا وقاربوا وأبشروا**»(١).

ونصح من بالغ في القــراءة والقيام والصيــام بالاقتصاد والاعتدال قائلًا: «**إنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لزَوْرِكَ عليك حقًّا**»(٢).

وقال لآخرين غَلَوْا في الطاعة والزهد: «**إنَّما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقــوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوَّج النســاء، فمَن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»(٣).

فهذه هي سُنَّته، وهذا هو منهجه ﷺ، منهج التوسُّط والاعتدال بين الرُّوحيَّة والماديَّة، والموازنة بين حظِّ النَّفْس وحقِّ الربِّ ﷻ.

ومن ثمَّ لا يرى الإسلام بأسًا أنْ يكون للإنسان جزءٌ من وقته لترويح نفسه بالحلال الطيِّب من متاع الحياة وزينتها، ولهوها ولعبها.

ولهذا لمَّا ســمع الرســول ﷺ حنظلة أحد أصحابه وقد اتَّهم نفسه بالنفاق، لتغيُّر حاله في بيته ومع أهله وولده عن حاله عند رسول الله ﷺ قال له: «**يا حنظلــةُ، لو بَقيتُم علــى الحال الَّتي تكونــون عليها عندي**

---

(١) رواه البخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة. ومعناه كما قال المناوي: «لا يتعمق أحد في العبادة ويترك الرفق كالرهبان إلَّا عجز فغلب، «فسددوا» أي: الزموا السداد، وهو الصواب، بلا إفراط ولا تفريط، و«قاربوا» أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، و«أبشروا» بالثواب على العمل الدائم وإن قل». التيســير بشــرح الجامع الصغير (٢٨١/١)، نشر مكتبة الإمام الشــافعي، الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

لصافحتكم الملائكةُ في الطرقات، ولكنْ يا حنظلةُ ساعة وساعة»[١]. فهذا هو شأن المسلم: ساعة وساعة، أي: ساعة لربِّه، وساعة لقلبه، كما يقول المثل السائر.

روى الأصمعي أنَّه رأى في البادية امرأةً بيدها مِسْبَحة وقفت تكتحل وتتزيَّن. قال: فقلت لها: أين هذا من هذا؟ يعني: أنَّه يستبعد أن تكون من أهل الذِّكْر والتسبيح، وفي الوقت نفسه من ذوات اللهو والتجمُّل، فأنشأت المرأة تقول:

وَلِلهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضَيِّعُهُ وَلِلَّهْوِ مِنِّي وَالْبَطَالَةِ جَانِبُ

قال الأصمعي: ففهمتُ أنَّها امرأةٌ صالحةٌ ذاتُ زوجٍ تتجمَّلُ له[٢].

لكلِّ وقتٍ عملُه:

وينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلَّبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح، فيتحرَّاه ويجتهد في القيام به، حتَّى يقع موقعه من الموافقة للمقصود، ومن القبول عند الله تعالى.

وقد جاء في وصيَّة أبي بكرٍ لعمر حين استخلفه: «اعلمْ أنَّ لله عَمَلًا بالنَّهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليْل لا يقبلُه بالنَّهار»[٣].

ليس المهمَّ إذن أن يعمل الإنسان أيَّ شيءٍ في أيِّ زمن، بل المهمُّ أنْ يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقَّت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محدَّدة، لا يجوز التقدُّم عليها، ولا التأخُّر

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة الكاتب الأسيِّدي.
(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٩/٢).
(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦/١).

QaradawiBooks.com

عنها، ليعلمنا بذلك أنَّ الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه، قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال في الصوم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي الحجِّ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي الزكاة: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وعمل القلب مثل عمل اللسان، يجب أن يكون في وقته وزمانه.

يقول بعض العارفين: «أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبليَّة، والطاعة، والمعصية، ولله عليك في كلِّ وقت منها سهم من العبوديَّة يقتضيه الحقُّ منك بحكم الربوبيَّة.

فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المِنَّة من الله عليه أن هداه لها ووقفه للقيام بها.

ومن كان وقته النعمة فسبيله الشُّكْر، وهو فرحُ القلب بالله.

ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبةُ والاستغفار.

ومن كان وقته البليَّة فسبيله الرضا والصبر، والرضا: رضا النَّفْس عن الله، والصبر: ثباتُ القلبِ بين يدي الرَّبِّ»[1].

وما قاله هذا العارف يُعَبِّر عمَّا نطق به القرآن والسُّنَّة.

ففي مقام الطاعة يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

(١) قاله أبو العباس المرسي، شيخ ابنِ عطاء الله. انظر: القول الوافي في التحذير من اقتراف المعاصي صـ ١٦١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وفي مقام النعمة يقول الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وفي مقام المعصية يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي مقام البلية يقول جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

وفي «صحيح مسلم» عن النبيِّ ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أَمْرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمن: إنْ أصابته سرَّاءُ شكر، فكان خيرًا له، وإنْ أصابته ضرَّاءُ صبر، فكان خيرًا له**»[(١)].

تحرِّي الأوقات الفاضلة:

وينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات أن يتحرَّى الأوقات الَّتي ميَّزها الله بخصائص رُوحيَّة معيَّنة فضَّلها بها على غيرها، كما روي في الحديث: «**إنَّ لربِّكم في أيام دَهْرِكم نفحات، فتعرَّضوا لها**»[(٢)].

وهذا التخصيص من شأن الألوهيَّة وحدها، يختصُّ برحمته من يشاء وما يشاء.

فكما فضَّل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٩)، والأوسط (٢٨٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧١٢): فيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا. وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩١٧)، عن محمد بن مسلمة.

QaradawiBooks.com

بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضَّل كذلك بعض الأزمنة على بعض: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

فقد فضَّل اللهُ في الليل ساعاتِ السَّحَر، وهي الثلث الأخير من الليل، حيث يتجلَّى الله على عباده كلَّ ليلة، حيث ينزل إليهم نزولًا يليق بجلاله، فينادي: «**هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتَّى ينفجرَ الفَجْرُ**»(١).

ولهذا وصف الله المتَّقِين المحسنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

وقال ﷺ: «**أقربُ ما يكون الربُّ من العبد في جوفِ الليلِ الآخِرِ، فإن استطعت أن تكون ممَّنْ يذكرُ اللهَ في تلك الساعةِ فكُنْ**»(٢).

وفضَّل الله تعالى من أيام الأسبوع: يوم الجمعة، وهو العيد الأسبوعي للمسلمين، وفيه فريضة صلاة الجمعة، ولقاء الجمعة، وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلمٌ يدعو الله بخيرٍ إلَّا استجاب له.

وقد صحَّ في الحديث: «**إنَّ من غدا إلى الجمعة في الساعة الأولى كان كمن قدَّم بَدَنَةً، ومن ذهب في الساعة الثانية** ـ أي: الفوج الثاني ـ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٧٩)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن خزيمة في الصلاة (١١٤٧)، والحاكم في الوتر (٣٠٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٤٨)، عن عمرو بن عبسة.

QaradawiBooks.com

كان كمن قدَّم بقرةً، ثمَّ كمن قدَّم شـاة، فدجاجـة... فبَيْضة، ثمَّ تطوي الملائكةُ صُحُفَها حين يَصْعَدُ الخطيبُ المِنْبَر»[١].

وفضَّل الله تعالى من أيام العام: أيامَ عَشْـرِ ذي الحجَّة، وأفضلها يوم عرفة، بل هو أفضل أيام العـام على الإطلاق، جاء في الصحيح عن ابن عبَّاس مرفوعًـا: «**ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله العمـل فيهن من هذه الأيام**». يعني: العشـر. قالـوا: يا رسـولَ الله، ولا الجهاد في سـبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلَّا رجلٌ خرج يُخَاطِر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيءٍ**»[٢].

وفضَّل الله من الشـهور شـهر رمضان الَّذي أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبيِّناتٍ من الهدى والفرقان، فرض فيه الصيام، وسنَّ فيه القيام، واسـتحبَّ فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسـم المؤمنين، ومتجر الصالحين، وميدان المتسابقين، وكان السـلف يترقَّبونه بشوقٍ ولهفةٍ قائليـن: مرحبًا بالمُطَهِّر، يرجون أن يغتسـلوا به مـن أدران عيوبهم، ويتطهَّروا مـن أرجـاسِ ذنوبهم، فـإنَّ اللهَ يحـبُّ التوَّابيـن ويحبُّ المُتَطَهِّرين.

ورمضان كلُّه شـهر مهم، ولكن أهم أجزائه: الثلـث الأخير منه، أو العشر الأواخر منه.

وأهميَّتها لأمرين:

أوَّلًا: أنَّهـا ختام الشـهر، وإنَّما الأعمال بالخواتيـم، ولهذا كان من

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري في الجمعة (٩٦٩).

QaradawiBooks.com

الدعاء المأثـــور: «**اللهمَّ اجعلْ خيرَ عمري آخـــره، وخيرَ عملي خواتمه، وخيرَ أيامي يوم ألقاك**»[(١)].

ثانيًا: أنَّها مَظنَّة ليلة القدر، وهي الليلة الَّتي جعلها الله خيرًا من ألف شـــهر، وأنزل في فضلها ســـورة من كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنصِّ القرآن: أنَّه الشـــهر الَّذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر، وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه.

وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مِئْزَره، وأحيا ليلَه، وأيقظ أهلَه، وكان يَخُصُّها بالاعتكاف.

وفضَّل اللهُ من الشهور بعد رمضان: الأشهر الحرم، وهي: رجب، وذو القَعْدة، وذو الحجَّة، والمُحَرَّم.

يقـــول الله تعالـــى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وظلم النفس محرَّم في كل شهر، ولكنَّه في الأشهر الحرم أشد إثمًا.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـــد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوســـط، وفيه أبو مالـــك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس.

QaradawiBooks.com

نظام الحياة اليومي للمسلم:

وينبغي للمسلم إذا أراد أن يبارك له في عمره أنْ يسير على نظام الحياة اليومي في الإسلام.

ويقتضي هذا النظام أن يستيقظ المسلم مبكرًا، وينام مبكرًا.

يبدأ يوم المسلم منذ مَطْلَع الفجر، أو على الأقلِّ قبل مشرق الشمس، وبهذا يتلقَّى الصباح طاهرًا نقيًّا قبل أن تُلَوِّثه أنفاس العصاة الَّذين لا يُفيقون من نومهم إلَّا في ضُحَى النَّهار.

وهنا يستقبل المسلم يومَه من البكور الَّذي دعا الرسول لأُمَّته بالبركة فيه، حين قال: «**اللهمَّ باركْ لأُمَّتي في بكورها**»[(١)].

ومن الآفات الَّتي ابتُلِيَ بها المسلمون أنَّهم غيَّروا نظامَ يَوْمِهم، فهم يسهرون طويلًا، ثمَّ ينامون حتَّى تضيع عليهم صلاة الصبح، وقد قال بعض السلف: عجبتُ لمن يُصَلِّي الصبحَ بعد طلوع الشمس كيف يُرزَق؟!

ويروي البخاري عن أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ: «**يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَد، يضرب على كُلِّ عُقْدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارْقُدْ، فإذا هو استيقظَ فذكر اللهَ انحلَّت عُقْدة، فإذا توضَّأ انحلَّت عُقْدةٌ ثانية، فإذا هو صلَّى انحلَّت عُقَدُه الثلاث، فأصبح نشيطًا، طيِّب النَّفْس، وإلَّا أصبح خبيثَ النَّفْسِ كَسْلَان**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٦).

QaradawiBooks.com

وما أعظم الفارق بين المسلم الَّذي انحلَّت عُقَدُ الشيطان كلُّها من نفسه، فاستقبل يومَه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة، وانطلق إلى معترك الحياة نشيطَ الجسم، طيِّب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عُقَد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخُطَا، خبيثَ النَّفْس، ثقيلَ الجسم، كسلان!

يفتتح المسلم يومه بطاعة الله، مصلِّيًا فرضه وسننه، تاليًا ما تيسَّر له من أذكار الصباح المأثورة عن رسول الله ﷺ، مثل: «**أصبحنا وأصبح المُلْك لله، والحمد لله، لا شريك له، لا إلٰه إلَّا هو، وإليه النشور**»[(١)].

«**اللهمَّ ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدَك لا شريكَ له، فلك الحمدُ ولك الشُّكْرُ**»[(٢)].

ثم يقرأ ما شاء له من كتابه الكريم بخشوعٍ وتدبُّرٍ وتفهُّم لمعانيه، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

ويتناول فطوره باعتدال، ثمَّ يتوجَّه إلى عمله اليومي، ساعيًا في تدبير معاشه، وطلب رزقه، يجتهد أن يشغل نفسه بأيِّ عمل حلال، مهما كان من ذوي الثراء والمال، ولو كان مجرَّد الإشراف والرقابة، فإنَّ المال السائب يعلِّم السرقة.

ومن هنا حرَّم الإسلام الربا؛ لأنَّه نظام يلد المال فيه المال حتمًا،

(١) رواه البزار (٨٦٨٥)، وجوَّد إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٩٤)، وحسن إسناده ابن حجر في مختصر زوائد البزار (٨٢٣/٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٧٣)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٥٠)، والبيهقي في الشعب (٤٠٥٩)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٨٠/٢)، عن عبد الله بن غنَّام.

QaradawiBooks.com

بغير عمل ولا مشاركة ولا مخاطرة، فهو يقعد متربِّعًا على أريكته، ضامنًا أن تأتي له المائة بعشرة، أو الألف بمائة، دون أدنى تحمُّل للمسؤوليَّة، وهذا ضدُّ نظرة الإسلام إلى الإنسان: إنَّه خُلق ليعمل ويَعْمُر الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

والمرء كما يأخذ من الحياة يجب عليه أن يُعطيها، وكما يستهلك منها ينبغي أن ينتج لها، ولا يعيش عاطلًا متبطِّلًا، يأكل ولا يعمل، ولو كان ذلك بدعوى التفرُّغ لعبادة الله تعالى، إذ لا رهبانيَّة في الإسلام.

روى البيهقي عن عبد الله بن الزُّبَيْر قال: «أَشَرُّ شَيءٍ في العالم البطالة»، وعلَّق على ذلك العلَّامة المُناوي في «فيض القدير» قائلًا: «وذلك أنَّ الإنسان إذا تعطَّل من عمل يشغل باطنه بمباحٍ يستعين به على دِينِه، كان ظاهره فارغًا، ولم يبق قلبه فارغًا، بل يُعَشِّش فيه الشيطان يَبِيض ويُفْرِخ، فيتوالد فيه نسله توالدًا أسرع من توالد كلِّ حيوان. ومن لم ينفع النَّاس بحِرْفة يعملها، يأخذ منافعهم، ويُضَيِّق عليهم معايشَهم، فلا فائدة في حياته لهم إلَّا أن يُكَدِّر الماء، ويُغْلِي الأسعار.

ولهذا كان عمر إذا نظر إلى ذي سِيمَا سأل: أله حِرْفة؟ فإذا قيل: لا، سقط من عينه.

وممَّا يدلُّ على قبح مَنْ هذا صَنِيعه: ذمُّ من يأكل مالَ نَفْسِه إسرافًا وبِدَارًا، فما حال من يأكل مال غيره ولا يُنيله عوضًا ولا يردُّ عليه بدلًا؟!

وشبَّه بعض الصالحين الصوفيَّ الَّذي لا حرفة له بالبُومة الساكنة في الخراب، ليس فيها نفع لأحد»[1]!

(١) فيض القدير (٢/٢٩٠ ـ ٢٩١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمسلم يعتبر عمله الدنيويَّ عبادةً وجهادًا، إذا صحَّت فيه النيَّة، ولم يشـــغل عن ذكر الله، وأدَّى عمله بإتقان وأمانة، فإنَّ إتقان العمل فريضة على المســـلم، كما قال ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحســـان على كلِّ شيء**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**إنَّ اللهَ يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يُتْقِنَه**»(٢).

ومن الواجبات اليوميَّة الَّتي لا يجوز للمســـلم أن ينساها أو يهملها: واجبه نحو خدمـــة المجتمع ومســـاعدة أفراده على قضـــاء حوائجهم، وتسهيل أمورهم؛ ليكون له بذلك صدقة وصلة.

روى الشيخان عن أبي موســـى، عن النبيِّ ﷺ قال: «**على كلِّ مسلمٍ صدقة**». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فينفع نفســـه، ويتصدَّق**». قالوا: فإن لم يســـتطع، أو لم يفعل؟ قال: «**يُعيـــن ذا الحاجة الملهوف**». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليأمرْ بالمعروف**». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فلْيُمسِكْ عن الشرِّ، فإنَّه صَدَقة**»(٣).

هذه الصدقة أو الضريبة الاجتماعيَّة مفروضة على المســـلم في كل يوم، بل يصحُّ الحديث أنَّها واجبة على كلِّ مِفْصَل من مفاصله، أو ميسم من مياسمه، مع إشراقة كل شـــمس. وبهذا يصبح المسلم ينبوعًا يفيض بالخير والنفع والسلام لمَن حوله، وما حوله.

جاء في الصحيحين عـــن أبي هُرَيْرة قال: قال رســـول الله ﷺ: «**كل سُـــلامى من النَّاس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشـــمس، تعدل بين**

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، عن شداد بن أوس.
(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨)، كلاهما في الزكاة.

QaradawiBooks.com

اثنين صدقة، وتُعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكلُّ خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

والمراد بالسُّلامى في الحديث: العظام والمفاصل والأعضاء، كما دلَّت على ذلك أحاديث أخرى، فهي نعمة على الإنسان ممَّن خلقه فسوَّاه فعدله، وصوَّره في أحسن صورة، فعليه أن يشكر الله تعالى عليها، بأن يستخدمها في طاعته ونفع عباده، وإسداء الخير لهم بأيِّ وجهٍ من الوجوه المستطاعة.

وعند الزوال يؤذَّن للظهر، فيهرع المسلم إلى صلاته مجتهدًا أن يؤدِّيها في أوَّل وقتها وفي جماعة ما استطاع، فأوَّل الوقت رضوان الله، والله تعالى قد أمر باستباق الخيرات، والرسول ﷺ قد همَّ أن يحرِّق على قوم بيوتهم لتخلُّفهم عن الجماعات، وقد جعل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، ولا سيما إذا كانت في المسجد.

ويتناول المسلم غداءه في وسط النهار، أكلًا من طيِّبات ما رزق الله، غير مسرفٍ إلى حدِّ التُّخْمة، ولا متقشِّف إلى حدِّ الحرمان، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

وفي البلاد الحارَّة، وفي فصل الصيف فيها خاصَّة، قد يحتاج بعض النَّاس إلى قيلولة يخلدون فيها إلى شيء من الراحة، يستعينون بها على قيام الليل، ويقظة البكور، وإليها أشار القرآن بقوله: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإذا جاء وقت العصر ونادى مناديها أنْ حيَّ على الصلاة، قام المسلم من قيلولته إن كان قائلًا، أو من لُجَّة عمله إن كان عاملًا، مسارعًا إلى هذه الصلاة الَّتي تعتبر الصلاة الوسطى لليوم، ولا يجوز للمسلم أن يشغل عنها ببيعٍ أو تجارةٍ أو لهو، فالمؤمنون كما وصفهم الله في كتابه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

ولا يليق بالمسلم أن يُؤخِّر صلاةَ العصر تهاونًا بها، حتَّى تَصْفَرَّ الشمس وتدنو من الغروب، فهذه صلاة المنافقين، كما قال النبيُّ ﷺ: «**تلك صلاةُ المنافق، يجلسُ يرقُب الشمس حتَّى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلَّا قليلًا**»[(١)].

وعندما تغرب الشمس يبادر المسلم إلى صلاة المغرب لأول وقتها، وبخاصة أنَّ وقتها ضيق، فإذا أدَّى الفرض والسُّنَّة تلا ما تيسَّر له من أذكار المساء المأثورة، مثل: «**اللهمَّ إنَّ هذا إقبالُ لَيْلِك، وإدبارُ نهارِك، وأصواتُ دعاتِك فاغفرْ لي**»[(٢)].

ومثل أدعية الصباح الَّتي ذكرناها يقول بدل «أصبحنا»: «أمسينا»، وهكذا.

ويتناول المسلم عشاءه بغير إسرافٍ ولا تقتير، ثمَّ يُصَلِّي العشاء وما لها من سنن، ويؤخِّر الوتر إذا كان معتادًا الاستيقاظ من الليل، وإلَّا صلَّاه قبل النوم.

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٦٢٢)، وأحمد (١٢٩٢٩)، عن أنس.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (٥٣٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٨٩)، والحاكم في الصلاة (١٩٩/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٥)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

وقد يؤخِّر المسلم عَشاءه إلى ما بعد العِشاء، غير أنَّه إذا حضر العَشاء والعِشـــاء قدَّم العَشـــاء كما جاء في الحديث[١]، حتَّى لا يُصَلِّي المسلم وقلبه مشغولٌ بغير مناجاة الله.

ويســـتطيع المســـلم أن يقضي بعـــض الحقوق قبل نومـــه، كبعض الزيارات أو المجاملات.

وينبغي أن يكون له حظٌّ يوميٌّ من القراءة المنتظمة طلبًا للزيادة في العلم، كما قال الله لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ويحسن به أن يتخيَّر من الكتب والمجلَّات ما ينفعه في دينـــه ودنياه، وقد قال حكيمٌ: أخبرني ماذا تقرأ، أخبرك من أنت.

ولا حرج على المسلم أن يُمَتِّع نَفْسَه ببعض اللهو المباح، أو الترفيه المشروع في نهارٍ أو ليل، على ألَّا يجور ذلك على حقِّ ربِّه في العبادة، أو حقِّ عَيْنِه في النوم، أو حقِّ بدنه في الراحة، أو حقِّ أسرته في الرعاية، أو حقِّ عمله في الإتقان، أو أيِّ حقٍّ من حقوق الغَيْر.

ومن ثمَّ لا يحسن بالمسلم أن يُطيل السهر حتَّى لا يطغى على بعض هذه الحقوق، وإن لم يقصد إلى ذلك قصدًا مباشـــرًا، فإنَّه ما من طغيانٍ في جانب إلَّا قابله إخسارٌ في جانب آخر.

وهذا يخالف ما أمر به الرحمٰن، وما جـــاء به القرآن: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٨، ٩].

(١) عن ابن عمر، قال: قال رســـول الله ﷺ: «إذا وضع عشـــاء أحدكم وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء». متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٧٣)، ومسلم في المساجد (٥٥٩). وهو وارد في صلاة المغرب، ولكنَّه مطرد في كل صلاة؛ نظرًا للعلة، وهذا إن اتسع الوقت.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وممَّا يجب على المسلم أن يذكره ولا ينساه في كل يوم يمر: ألَّا يفرِّط في حق من الحقوق العشرة الَّتي أمر الله تعالى برعايتها في كتابه فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٦].

فأوَّل الحقوق وأعظمها هو حقُّ الله تعالى، خالق الخلق، ومالك الأمر، وواهب الحياة، وصاحب النعم كلِّها: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فلا يحلُّ لمسلم التهاون في حقِّه أو الغفلة عنه.

وأظهر حقوق الله تعالى اليوميَّة: الصلاة الَّتي جعل الله أوَّل أوصاف المؤمنين الخشوع فيها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، وآخر أوصافهم المحافظة عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وكتب الويل لمن تشاغل عنها حتَّى فات وقتها المعلوم: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وثاني الحقوق هو: حقُّ الوالدين؛ فالإحسان إليهما يأتي في كتاب الله تاليًا للتوحيد وإخلاص العبادة لله.

ويعطي القرآن والسُّنَّة عنايةً للأُمِّ خاصَّة؛ لأنَّ حقَّها أوكد، وحاجتها إلى الرعاية أكثر، وعناءها في سبيل ولدها أكبر: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

ولا يكتفي الإسلام ولا يرضيه أن يكون للأم يوم خاص من السَّنَة يُسَمِّيه النَّاس «عيد الأمِّ»، وإنَّما يريد الإسلام أن تكون أيامُ الأُمِّ كلُّها أعيادًا.

QaradawiBooks.com

وبعد ذلك يأتي حقُّ ذوي القربى مـــن الإخوة والأخوات، والأعمام والعمَّات، والأخـــوال والخالات، وأبنائهم وبناتهـــم، وغيرهم من أولي الأرحام.

وهناك حقوق الضعفاء في المجتمع من اليتامى والمســـاكين، وابن الســـبيل، وحقوق العشـــراء من الجيران الأقارب، والأباعد، والصاحب بالجنب من يرافق الإنســـان في حضر أو ســـفر، بصفة دائمة أو مؤقتة، ويدخل في ذلك المرأة مع زوجها، والزوج مع امرأته.

وختام هـــذه الحقوق: حـــقُّ مِلْكِ اليميـــن: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النســـاء: ٣٦]، وهذا وإن كان ينصرف إلى الرقيق ووجوب الإحسان به في عصـــر الرقيق، فهو بعمـــوم لفظه يشـــمل كل ما تحت يد الإنســـان من حيوانات، ومن أجهزة، وآلات، وأشياء، فهو مأمور بالإحسان بها، وذلك بأن يحافظ عليها ويصونهـــا، ويرعاها ولا يُبَدِّدها؛ لأنَّـــه مؤتمن عليها، مستخلف فيها.

فإذا أراد المسلم أن يخلد إلى النوم اســـتحبَّ له أن يتطهَّر، ويصلِّي ركعتين، ثمَّ يأوي إلى فراشه مضطجعًا على جنبه الأيمن، ذاكرًا الله تعالى بما ورد عن النبيِّ ﷺ عند النوم، مثل قوله: «**باسمك رَبِّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفســـي فاغفرْ لها، وإن أرســـلتها فاحفظْها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[1].

وينبغي للمسلم أن يستفيد ممَّا كتبه علماؤنا من كتب تبيِّن له الأقوال والأعمال الدينيَّة المطلوبة منه في صباحه ومسائه ويومه وليلته.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٠)، ومســـلم في الذكـــر والدعاء (٢٧١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

مثل ما كتب الإمام النَّسائي في كتابه «عمل اليوم والليلة»، وكذلك ما كتبه الحافظ ابن السُّنِّي ـ تلميذ النَّسائي ـ بنفس العنوان، وما كتبه الإمام النووي في كتابه «الأذكار»، وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الكلم الطيب»، وتلميذه الإمام ابن القيم في «الوابل الصيب»، والعلامة ابن الجزري في «الحصن الحصين»، وشارحه المُحَقِّق الشوكاني في «تحفة الذاكرين»، وما كتبه المعاصرون وأقربها رسالة «المأثورات» للإمام الشهيد حسن البنَّا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

وقت الإنسان بين الأمس واليوم والغد

الوقت أو الزمن الَّذي يعيش فيه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، أو أمس ويوم وغد.

والنُّاس في علاقتهم بالزمن أو الوقت في أجزائه هذه عدَّة أصناف، يقفون عادة بين طرفي الإفراط والتفريط.

فهناك عبيد الماضي، وبجوارهم عبَّاد الحاضر، وإلى جانبهم سدنة المستقبل.

وهناك المعتدلون المتوازنون، الَّذين يعطون لكلٍّ منها حقُّه، بلا طغيانٍ، ولا إخسارٍ، وقليل ما هم.

المتعلِّقون بالماضي:

فمن النَّاس من لا يكادون يعرفون من الزمن إلَّا الأمس، فهم يعيشون في الماضي وحده، لا يشعرون بغيره، ولا يهتمون بسواه، من يومٍ مشهود، أو غدٍ منشود، سواء كان هذا ماضيهم الشخصي شأن «الرومانسيِّين»، الهائمين، أم ماضي أسرهم وآبائهم، أو ماضي أقوامهم وأممهم، شأن الغلاة من «العظاميِّين» و«التراثيِّين».

ولهذا الصنف من عبيد الماضي عدَّة صور يظهر فيها:

١ ـ صورة من يحيا مفاخرًا به، معتزًّا بأمجاده، دون أن يضيف جديدًا، أو يقدِّم مزيدًا يصل حاضره بماضيه، ويومه بأمسه، فهو دائمًا يقول: كُنَّا، وكان آباؤنا وأجدادنا. ولا يجد ما يقول عنه: نحن فعلنا كذا، أو أنجزنا كذا.

ولمثل هؤلاء يقول الشاعر:

لَئِنْ فَخَرْتَ بآباءٍ ذَوِي حَسَبٍ لقد صَدَقْتَ ولكنْ بِئْسَ ما وَلَدُوا[1]

وقال الآخر:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هَأَنَذَا لَيْس الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي[2]

إنَّ الاعتزاز بأمجاد الماضي ومآثر الأجداد أمرٌ محمود، إذا دفع إلى إكمال ما بدؤوا، والاقتداء بهم في خيرِ ما فعلوا، ولكنَّ الوقوف عند التغنِّي بذلك لون من السلبيَّة لا يُقدِّم في بناء الأمم شيئًا.

وماذا يفيد العظام النخرة أن نقول: كنتَ فيما مضى جسدًا حيًّا؟ إنَّ الموقف الإيجابي هنا هو ما عبَّر عنه الشاعر بقوله:

إِنَّا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا لَسْنَا عَلَى الْآبَاءِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا[3]

---

(١) ينسب لابن الرومي، كما في ديوانه (٥٢٥/١)، شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٢) ذكره من غير نسبة: المبرد في الفاضل صـ ٨، نشر دار الكتب المصرية، ط ٣، ١٤٢١هـ، وهو في الديوان المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب صـ ١٦، جمع عبد العزيز الكرم، ط ١، ١٩٨٨م.

(٣) البيتان نسبهما ابن رشيق القيرواني الأزدي إلى المتوكل الليثي. انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٤٦/٢)، نشر دار الجيل، ط ٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. ونسبهما الزمخشري إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في ربيع الأبرار (٨٥/٣)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

٢ ـ ويَقْرُب من هذه الصورة: صورة التراثيِّين الَّذين يدعون إلى تقديس التراث بكلِّ ما فيه من صواب وخطأ، وجِدٍّ وهَزْل، معتبرين أنَّ الماضي دائمًا خيرٌ من الحاضر، وأنَّ الأول لم يترك للآخر شيئًا، وأنَّه ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان.

مع أنَّ الواجب هنا: تحديد مفهوم التراث، ثمَّ تقويمه بعد ذلك.

فمن النَّاس من يُدخِل في مفهوم التراث عندنا نحن المسلمين: القرآن والسُّنَّة، وهذا ما لا خيار لنا في الالتزام به بموجب عقد الإيمان: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فالجانب الإلٰهي من التراث لا يوضع موضع الاختبار أو التردد.

أمَّا الجانب البشري، فهو الَّذي يوضع في الغربال، ويُمَيَّز منه ما يُقْبل وما يردُّ، فمنه ما له صفة المَحَلِّيَّة لا العالميَّة، فهو يحمل طابع موضعه الَّذي يظهر فيه، ولا يصلح لمكان آخر، ومنه ما يحمل طابع زمنه ولا يصلح لزمن آخر. وهكذا.

ومن هنا كانت الدعوة إلى «المعاصرة» بجوار دعوة «الأصالة» أو المحافظة على التراث.

٣ ـ وهناك صورة من يعيش في الماضي متشبثًا به، مقلدًا له، لمجرَّد أنَّ هذا ما كان عليه آباؤه الأقدمون، دون أن يمتحن هذا الماضي ليعرف حقَّه من باطله، ورشده من غيِّه، فموقفه موقف المتلقي المنفِّذ، لا المختبر المميِّز، موقف المتبع لا المبتدع.

وفي مثل هذا يقول القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ

QaradawiBooks.com

نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهذا التفكير هو الَّذي وقف عقبة في وجه المرسلين من قديم الزمان، فقد قال قوم هود له: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقالت ثمودُ لصالح: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [هود: ٦٢].

ولمَّا قال إبراهيم لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣].

وقال قوم شعيب له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود: ٨٧].

وهكذا قرَّر القرآن هذه السُّنَّة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقد أنكر القرآن على هذا الصنف من النَّاس هذا الجمود العقلي، وهذا التحجُّر على ما كان عليه الآباء، والتبعية العمياء لما توارثوه، وواجههم بمثل هذه العبارات: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤]. ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ﴾ [الزخرف: ٢٤].

٤ ـ وهناك صورة من يعيش في الماضي نادمًا عليه، مُتَحَسِّرًا على ما فاته منه، مردِّدًا دائمًا عبارات التحسُّر والتمنِّي: ليتني فعلتُ، وليتني تركتُ، ولو كنت فعلت كذا لكان كذا، ولو أنِّي قدَّمت هذا وأخَّرت ذاك لكان كذا وكان كذا.

QaradawiBooks.com

وهذا اللون من التفكير أو الشعور يَلُفُّ الإنسان بمسوح الكآبة النفسيَّة، ويُحْبِيه في نكدٍ وقلقٍ لا مبرِّرَ له، ولا فائدة منه، ويصيبه بالسلبيَّة المدمِّرة، ولهذا قيل: الاشتغال بفوات وقت ماضٍ تضييع وقت ثانٍ.

ولا غرو أنْ أنكر القرآن والسُّنَّة هذا السلوك، يقول الله تعالى بعدما أصاب المسلمين في غزوة أحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال الرسول الكريم: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرصْ على ما ينفعُك، واستعنْ بالله ولا تَعْجِزْ، ولا تقلْ: لو أَنِّي فعلتُ كذا لكان كذا، ولكنْ قُلْ: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتحُ عَمَلَ الشَّيطانِ**»[(١)].

فالإيمان بقدر الله تعالى يدخل هنا عاملًا إيجابيًّا مؤثرًا، ينتزع الإنسان من سلبيَّة «لو»، و«ليت»، ونحوها إلى إيجابية العمل والبناء للمستقبل.

وفي هذا تغنَّى الشعراء، وإنَّ من الشعر لحكمة:

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي «لَيْتُ»؟ ... إِنَّ «ليتًا» وإنَّ «لوًّا» عَنَاءُ[(٢)]!
وَلَيْسَ بَرَاجِعٍ مَا فَاتَ مِنِّي ... بـ «لَهْفَ» وَلَا بِـ «لَيْتَ» وَلَا «لَوَ انِّي»[(٣)]
سَبَقَتْ مَقَادِيرُ الْإِلَهِ وَحُكْمِهِ ... فَأَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ «لَعَلَّ» وَمِنْ «لَوِ»

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.
(٢) البيت لأبي زُبَيْد الطائي، كما في الشعر والشعراء لابن قُتَيْبة (٢٩٥/١).
(٣) ذكره ابن مالك ولم ينسبه في شرح تسهيل الفوائد (٢٨٢/٣)، تحقيق د. عبد الرحمٰن السيد ود. محمد بدوي المختون، نشر هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

المتعبِّدون للمستقبل:

وفي مقابلة هؤلاء «الأمسيِّين» المسرفين في التعلق بالماضي بصورة أو بأخرى نجد آخرين يغالون في التشبُّث بالمستقبل، مديرين ظهرهم للماضي، معرضين عن تاريخهم، وتاريخ أمتهم وتاريخ الإنسانيَّة إعراضًا تامًّا، رافضين للمواريث الثقافية والدينيَّة والحضاريَّة، رفضًا كاملًا، دون تمحيص ولا تمييز بين حقها وباطلها، وحلالها وحرامها، ونافعها وضارها.

يقولون: دعونا من الأجداد الَّذين ماتوا وشبعوا موتًا، وخلونا نبحث عن الشباب الَّذين سيكونون رجال الغد، بل عن الأطفال الَّذين سيكونون شباب الغد، بل عن الأجنة الَّتي ستكون عن قريب أطفال الغد.

ويقولون: إنَّ أعيننا لم تخلق في أقفيتنا لننظر إلى الوراء، بل خلقت في وجوهنا لننظر إلى الأمام، فلماذا تكلِّفوننا دائمًا الالتفات إلى الخلف، وهو ممَّا يعوق انطلاقنا وتقدُّمنا بسرعة نحو الهدف المنشود؟

يقولون هذا الكلام أو نحوه، وهو حقٌّ إذا قيل في وجه من يريدون أن يحيا النَّاس في قمقم الماضي، لا يبرحونه، ولا يخرجون منه، ولا يلتفتون إلى حقِّ يومهم، وواجب غدهم.

ولكن هذا الكلام لا يكون حقًّا أو يكون من الحق الَّذي يراد به الباطل إذا قصد به نسيان الماضي بكل ما فيه، ورفض التراث بكل ما يحويه، وإهالة التراب على التاريخ بكل ما يحمل من دروس وعبر وإيحاءات تهدي العقول والأبصار، وما أصدق قول الله تعالى في كتابه منبِّهًا إلى الاستفادة من الماضي وعِبَره: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

QaradawiBooks.com

النظرة السلبيَّة إلى المستقبل: نظرة اليأس والتشاؤم:

ومن النَّاس مـــن ينظر إلى الغد ويفكِّر فيه، ولكنَّها نظرة المتشـــائم، الَّذي يضع على عَيْنَيْه منظارًا أســـود قاتمًا، ينظر مـــن خلاله إلى الحياة والأحياء والزمان والمكان، فهو يؤوسٌ قنوطٌ، فقد الثقة بالغد والأمل في الفوز، قد استقر في نفســـه أنَّ الأمور لا تسير من ســـيء إلَّا إلى أسوأ، ولا من أســـوأ إلَّا إلى الأشـــدِّ ســـوءًا، وأنَّ الحياةَ ليلٌ لا يَشُـــقُّه فجر، ولا يمحو ظلامَه شمسٌ.

وهذه لا ريب نظرة هدَّامة محطِّمة: هدَّامة للإنســـان نفســـه، وهدَّامة للحياة والمجتمع من حوله.

فحياة الفرد من غير شعاع الأمل أضيق من حلقة الخاتم، بل من سَمِّ الخياط. وقديمًا قال الشاعر:

أُعَلِّـــلُ النَّفْـــسَ بالآمـــالِ أَرْقبُها ما أضيقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ[1]

وحيـــاة المجتمع بـــدون الأمل حيـــاة جامـــدة ميِّتـــة لا رُوح فيها، ولا حراك، فلولا الأمـــل ما بنى بـــانٍ بنيانًا، ولا غرس غارس غرسًـــا، ولا تقدَّم العلم خطوة إلى الأمام.

والواقع أنَّ الدِّينَ والتاريخ والواقـــع كلَّها تُعلِّمنا: أنَّه لا معنى للحياة مع اليأس، ولا معنى لليأس مع الحياة، وأنَّ مع العســـر يسرًا، وأنَّ بعد الليل فجرًا، وأنَّ دوام الحال من المحال.

يقـــول الله تعالـــى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) من شعر الطغرائي، انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٤٥٠/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال الشاعر:

ولرُبَّ نازلةٍ يَضِيقُ بها الفَتَى ذَرْعًا وعِنْدَ اللهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا استحكمتْ حَلَقَاتُها فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفْرَجُ(١)

وقال آخر:

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بَالبَلَجِ(٢)

ومن صور اليأس ومظاهر التشاؤم: ما آمن به كثير من النَّاس أنَّنا اليوم في آخر الزمان، وأنَّ علامات الساعة قد ظهرت، وأنَّ الخير في إدبار، والشرَّ في إقبال، وأنَّ التديُّن يخبو مصباحه يومًا بعد يوم حتَّى يتم انطفاؤه، وأنَّ الكفر سيعم الأرض، حتَّى لا تقوم الساعة إلَّا على كافر ابن كافر، وإذن لا أمل في علاج، ولا رجاء في إصلاح.

ويستدلون لهذه النظرية اليائسة بالأحاديث الواردة في الفتن وأشراط الساعة.

وليس الأمر كما فهم هؤلاء بنظرهم السطحي، وفهمهم القاصر، فإنَّ ما ورد في نصوص الدين من قرب قيام الساعة، وظهور أماراتها البعيدة، لا يعني أنَّها على الأبواب، فإنَّ القرب والبعد كلاهما أمر نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلَّا الله، ولعلها أقرب

(١) هو إبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) البيت لابن النحوي التوزري، وهو مطلع قصيدته (المنفرجة). انظر: المنفرجتان لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري صـ ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ممَّا نتصور! والقرآن لم يزدْ على أن قال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، كما قال: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وبعثة نبينا ﷺ نفسها من علامات الساعة، فقد قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وشبَّك بين السبابة والوسطى[(١)].

فالقعود عن العمل لإحياء شريعة الإسلام، وأُمَّة الإسلام، ودولة الإسلام، انتظارًا لقيام الساعة، واعتمادًا على أنَّنا في آخر الزمان، أمر ينكره الدِّين أشد الإنكار، فإنَّ المسلم مأمور بالعمل والجهاد ما دام فيه عين تطرف. والمسلمون باعتبارهم أُمَّة مأمورون بذلك، حتَّى يُغْلَقَ باب التوبة، وذلك في الأيام الأخيرة من عمر الدنيا، حين تضطرب السنن الَّتي وضعها الله لهذه الحياة، فتطلع الشمس من مغربها: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ولقد جاء عن الرسول الكريم الأمر بالاستمرار في العمل الدنيوي ـ وهو أهون في نظر الدين ـ حتَّى تلفظ الحياة نَفَسَها الأخير، وذلك حين قال: «**إنْ قامت الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فَسِيلة، فإنْ استطاع ألَّا يقومَ حتَّى يغرسَها فلْيَغْرِسْها**»[(٢)].

فإذا كان المسلم مأمورًا ألَّا يدع غراسه وإن سمع النفخ في الصور حتَّى يتم عمله ما استطاع، وإن لم ينتفع به هو ولا أحد من بعده، فكيف

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩٥١)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وبيننا وبين الساعة آماد مجهولة، لا يعلم مقدارها إلَّا خالق الكون سبحانه؟!

إنَّ العمل مطلوب في حدِّ ذاته، ولو لم يُحَقَّق ثمرة عاجلة لصاحبه، فإن حقَّقها فقد فاز بالحسنيين، وإلَّا فحسبه أنَّه جاهد وسعى، وأدَّى الواجب، وأعذر إلى الله، وأقام الحجة على المخالفين، فلا عذر لهم عند الله تعالى، وسأذكر لك بعض الأحاديث في ذلك تتبيَّن منها المراد:

١ ـ روى الترمذي، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون بعدي فتنٌ كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم**». قلتُ: وما المخرجُ منها يا رسولَ الله؟ قال: «**كتابُ الله، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بَيْنَكم**»[(١)].

٢ ـ «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجلُ مؤمنًا ويُمْسي كافرًا، ويُمْسي مؤمنًا ويُصْبح كافرًا، يبيعُ دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا**»[(٢)].

٣ ـ وروى أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من حديث أبي ثعلبة الخشني: «**إنَّ من ورائكم أيامَ الصَّبْر، الصبرُ فيهنَّ مِثْلُ القَبْضِ على الجمر، للعامل فيهنَّ أجر خمسين رجلًا يعملون مثله**». قلتُ: يا رسولَ الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجرُ خَمْسِين منكم**»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٥)، والحاكم في الرقاق (٣٢٢/٤) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وفي بعض روايات هذا الحديث تعليل لمضاعفة هذا الأجر بقوله: «**تجدون على الخير أعوانًا، ولا يجدون على الخير أعوانًا**»[١].

٤ ـ روى الشيخان، عن حُذَيْفة بن اليَمَان قال: كان النَّاس يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدْرِكَني. قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّا كُنَّا في جاهليَّةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**». قلت: وما دخنهُ؟ قال: «**قومٌ يستنُّون بغير سُنَّتي، ويهدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم وتُنْكِر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ على أبواب جهنَّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسولَ الله، صِفْهم لنا. فقال: «**هم قومٌ من جِلْدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا**»[٢].

فهل ترى في هذه الأحاديث إلَّا تحذيرًا من الشرِّ، وترغيبًا في الخير، وتثبيتًا على الحقِّ، وحثًّا على التمسُّك بكتاب الله، والصبر على طاعته، والاعتصام بحبله، ومقاومة دعاة السوء الواقفين على أبواب جهنَّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها؟

مواجهة المستقبل بالأماني والأحلام:

ويقابل هذا السلبي من المستقبل ـ موقف اليأس والقنوط ـ موقف سلبي مثله، وهو مواجهة المستقبل بالأماني المجرَّدة، والأحلام الفارغة، لا بالعلم والعمل والتخطيط.

(١) إحياء علوم الدين (٣٠٨/٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧).

QaradawiBooks.com

والأماني لا تبني مجدًا، ولا تحقِّق أملًا، بل هي كما قال كعب بن زُهَيْر:

فَلَا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ[1]!

قال رجل لابن سيرين: إنِّي رأيت في منامي أنِّي أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح، فما تفسير هذه الرؤيا؟ فقال له: أنت رجل كثير الأماني والأحلام[2].

وقال عليُّ بن أبي طالب لابنه: إيَّاك والاتِّكال على المُنَى، فإنَّها بضائع النَّوْكَى[3]. أي: الحمقى.

وقال الشاعر:

أُعَلِّلُ بِالْمُنَى قَلْبِي لَعَلِّي أُرَوِّحُ بِالْأَمَانِي الْهَمَّ عَنِّي
وَأَعْلَمُ أَنْ وَصْلَكَ لَا يُرَجَّى وَلَكِنْ لَا أَقَلُّ مِنَ التَّمَنِّي[4]

وقال آخر:

وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْمُنَى، فَالْمُنَى رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ[5]!

ولا غرو أن أنكر القرآن على أهل الكتاب من اليهود والنصارى تعلُّقَهم بالأماني في دخول الجنَّة بغير أسبابها وموجِباتها من الإيمان

(١) في اعتذاريته الشهيرة للنبي صلى الله عليه وسلم: بانت سعادُ، انظر: ديوانه صنعة أبي سعيد العسكري صـ ٢٩، فهرسة حنا نصر الحتي، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٤م.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٣٤/١)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ. وابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٣٣٠/٣).

(٤) من شعر ابن العفيف التلمساني، كما في نفحة اليمن للشرواني صـ ٢١٣، نشر مطبعة التقدم العلمية، مصر.

(٥) من شعر أبي بكر الخالدي، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي صـ ١١٣.

QaradawiBooks.com

والعمل، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

ولم يقف القرآن عند حدِّ الإنكار على أهل الكتاب، بل أشرك معهم المسلمين ممَّن حذا حذوهم، ممَّن ظنَّ أنَّ مجرد التسمِّي بالإسلام أو الانتساب إليه ينجيه عند الله، قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۞ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

إنَّ القرآن ينكر الاعتماد على الأماني، ولكنَّه لا ينكر الرجاء، وفرق بين الأمرين: فالرجاء ما قارنه عمل، وإلَّا فهو أمنية.

ولهذا اعتبر الحديث النبوي من العجز والحمق اتِّباع هوى النفس، والجري وراء شهواتها، اتكالًا على عفو الله تعالى، ومغفرته وسعة رحمته، مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وفي هذا جاء الحديث: «**الكَيِّسُ من دان نَفْسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبع نَفْسَه هواها وتمنَّى على الله**»[1].

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

أمَّا الرجـــاء: فالقرآن يُنوِّه به، ويثني على أهله فـــي مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال بعض الصالحيـــن: «طلب الجنَّة بلا عملٍ ذنـــبٌ من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا اتِّباع للسُّـــنَّة نوعٌ من الغرور، وارتجاء رحمة الله مع المعاصي حمقٌ وجهل»[(١)].

وقال الحســـن: إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتَّى خرجوا من الدُّنْيا ولا حسنة لهم، يقول أحدهم: أحسن الظنَّ بربِّي! وكذب، لو أحسن الظنَّ لأحســـن العمل له. وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٣][(٢)].

وكان يقول أيضًا: «يا أيُّها الناس، اتُّقوا هذه الأماني، فإنَّها أودية النَّوْكَى، فيَحُلُّون فيهـــا، فوالله ما آتـــى اللهُ عبدًا بأمنيـــة خيرًا فـــي الدُّنْيا ولا في الآخرة»[(٣)].

عُشَّاق اللحظة الحاضرة:

وهناك أناس لا ينظرون إلى الماضي، ولا يتطلَّعون إلى المســـتقبل، إنَّهم يعيشـــون ليومهم وفي يومهم، الماضي قد فـــات، وما فات مات، وما مات لا يسوغ الاشتغالُ به أو التفكير فيه.

---

(١) من قول معروف الكرخي، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦٧/٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثق بالعمل (٢)، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (١٧٨/١)، نشـــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

والمستقبل عندهم غيب، والغيب مجهول، ولا ينبغي للإنسان الواقعيِّ أنْ يتعلَّق بمجهول؛ لأنَّه كالبناء على الرمل، والكتابة في الهواء.

هؤلاء قد ألهاهم الاستغراق في يومهم عن التطلُّع إلى غدهم، كما ألهاهم عن الاستفادة من أمسهم.

إنَّهم أبناء يومهم وحاضرهم فحسْب، لا يهتمُّون بالآخرة؛ لأنَّها مستقبل، وهم لا يبيعون نقدًا بنسيئة، ولا عاجلًا بآجل، ولا يشغلون أنفسهم بالتاريخ والتراث؛ لأنَّه ماضٍ انتهى. ومعنى أنَّهم أبناء يومهم: أنَّهم لا يفكِّرون ولا يهتمُّون إلَّا باللحظة الآتية الحاضرة، يعتصرونها ويرتشفونها، وينعمون بها، دون أن ينغِّصوا على أنفسهم بتذكُّر الأمس، أو التفكُّر في الغد.

ويتمثَّل أنصار هذا الاتجاه بقول الشاعر العربي:

مَا مَضَى فَاتَ، وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ولَكَ السَّاعَةُ الَّتي أَنْتَ فِيهَا[1]

وهذا كلام يصلح لأن يقوله المؤمنون المستقيمون، والمادِّيُّون المتحلِّلون.

فإذا لم تكن للإنسان إلَّا الساعة الَّتي هو فيها فلماذا يُضَيِّعها؟ ولماذا لا يستغلُّها في طاعة الله، وفي نصرة الحقِّ، وفعل الخير، وإشاعة المعروف؟ ولهذا يُنْسَبُ هذا البيت نفسُه إلى بعض الصالحين، حيث يقول:

إنَّمَا هذه الْحَيَاةُ مَتَاعٌ وَالسَّفِيهُ الْغَوِيُّ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ، وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ولَكَ السَّاعَةُ الَّتي أَنْتَ فِيهَا

(١) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الغزي. انظر: البداية والنهاية (٢٠١/١٢)، نشر دار الفكر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

والحــقُّ أنَّ الحاضر عند التحليل والتأمُّل ليــس إلَّا خَطًّا وهميًّا بين الماضي والمستقبل، وهذا ما جعل بعض الشعراء يقول:

مَــا الدَّهْــرُ إِلَّا سَــاعَتَانِ: تَأَمُّــلٌ فِيمَا مَضَــى وَتَفَكُّر فِيمَــا بَقِي[1]

أي: أنَّه ألغى الحاضر تمامًا، ولكن ينبغــي أنْ يعلم أنَّ الحاضر في عُرْف النَّاس هو اللحظة الحاضرة متَّصلة بالجزء القريب من المســتقبل، الَّذي يعتبره الإنسان كأنَّما قد حضر بالفعل.

النظرة الصحيحة إلى الزمن:

والنظرة الصحيحة إلى الزمن هي الَّتي تســتوعب الماضي والحاضر والمستقبل جميعًا.

لا بدَّ من نظرة إلى الماضي:

للاعتبار بأحداثه، والاتِّعاظ بمصاير أممه، وبسنن الله فيهم، فهو وعاء الأحداث، ومخزن العبر، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمــران: ١٣٧]، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

(١) هو إبراهيم الغزي. انظر: الدر الفريد (١١٥/٩).

QaradawiBooks.com

ثم للاستفادة ممَّا تركه السابقون للاحقين من علومٍ وآدابٍ وفنون، بعد أن نُمَحِّصَها ونُحَقِّقها، ونأخذ منها ما يليق بعصرنا وأحوالنا.

وفي الحديث: «**الكلمةُ الحكمةُ ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها**»[١].

وليس من الصواب ترك القديم لمجرَّد أنَّه قديم، فمن الأشياء ما يعتبر القدم مزيَّة له وفضلًا فيه، وهو بطبيعته لا يقبل التجديد، أليس فضل القرآن أنَّه كلام الله الَّذي لا تَخْلَق جِدَّته، ولا يبلى على مُضِيِّ الزمن وكَرِّ الدهور؟!

أليس فضل الكعبة أنَّها «البيت العتيق» المَحْجُوج المقصودُ على توالي القرون؟!

إنَّ القرآن لا يُجدَّد، والكعبة لا تُجدَّد، والحقائق لا تُجدَّد.

لقد أسرف أنصار التجديد حين أعرضوا عن كلِّ قديم، وصفَّقوا لكلِّ جديد، مع أنَّ من القديم ما هو نافعٌ أعظم النفع، ومن الجديد ما هو ضارٌّ أبلغ الضرر. وقد سَخِرَ منهم أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي حين قال: «إنَّهم يريدون أنْ يُجدِّدوا الدِّين واللغةَ والشمسَ والقمر»[٢]!

وقال عنهم أمير الشعراء شوقي في قصيدته عن «الأزهر» مُنَدِّدًا بخصومه من أدعياء التجديد:

لَا تَحْذُ حَذْوَ عِصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونُ كُلَّ قَدِيمِ أَمْرٍ مُنْكَرَا

---

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦)، عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

(٢) على غلاف كتابه تحت راية القرآن.

QaradawiBooks.com

وَلَوِ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمِّرَا
مَنْ كَانَ سَاعٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدْمِهِ وَإِذَا تَقَدَّمَ لِلبِنَايَةِ قَصَّرَا[1]

على أنَّ القِدَم والجِدَّة أمران نسبيَّان، فرُبَّ قديمٍ عند قومٍ هو جديدٌ عند آخرين، ورُبَّ جديدٍ في بيئة يُعْتَبَرُ قديمًا في أخرى. والجديد لا يبقى جديدًا أبدَ الدَّهْر، فقديمُ اليوم كان جديدَ الأمس، وجديدُ اليوم سيكون قديمَ الغَدِ.

ولا بدَّ من وقفة مع كلِّ يوم يمضي، ليحاسب الإنسان فيه نفسه: ماذا عَمِل فيه؟ ولماذا عَمِل؟ وماذا ترك؟ ولماذا ترك؟ وحبذا أن يكون ذلك قبل النوم.

إنَّ لحظة المحاسبة للنفس لتعدُّ من لحظات الارتقاء الإنساني، حيث يجرِّد الإنسان من عقله حاكمًا على شهوته، ومن ضميره حاكمًا على هواه، ويجعل الإنسان المؤمن من إيمانه شرطيًّا يراقب، ومفتشًا يحاسب، وقاضيًا يحكم، وبهذا يرتقي الإنسان من حالة «النفس الأمارة بالسوء» إلى حالة «النفس اللوامة» الَّتي تلوم صاحبها إذا أقدمت على محظور، أو قصَّرت في فعل مأمور.

وفي الحديث الَّذي ذكرناه من قبل: «**ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات**»، ومنها: «**ساعة يحاسب فيها نفسه**»[2].

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم»[3].

(١) في قصيدته الأزهر، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٠٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان ﷺ يضرب قدميه بالدِّرَّة إذا جنَّ الليلُ، ويقول لنفسه: «ماذا عملتَ اليوم؟»[١].

ويقول التابعيُّ الجليل مَيْمُون بن مِهْرَانَ: التقيُّ أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطانٍ غاشم، ومن شريكٍ شَحِيح[٢].

ويقول الحسن: المؤمن قَوَّام على نفسه، يُحاسبها لله، وإنَّما خفَّ الحسابُ يومَ القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما شقَّ الحسابُ يومَ القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. ثمَّ فسَّر المحاسبة فقال: إنَّ المؤمن يَفْجَؤُه الشيءُ فيُعجبه فيقول: والله إنَّك لتُعْجِبني، وإنَّك من حاجتي، ولكنْ هيهاتَ، حِيلَ بيني وبينَك! وهذا حسابٌ قبلَ العمل.

ثُمَّ قال: ويَفْرُط منه الشيءُ فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردتَ بهذا؟ والله لا أُعْذَرُ بهذا، والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله[٣].

وهذا حسابٌ بعدَ العمل.

فمن لم يقف كلَّ يومٍ هذه الوقفة فلْيَقِفْها كلَّ عِدَّة أيام، أو في كُلِّ أسبوع مرَّة يعرف فيها: ماذا له؟ وماذا عليه؟

ثم ينبغي أن تكون هناك وقفةٌ أطولُ في ختام كلِّ شهر، ووقفة أطول وأطولُ حينَ يُوَدِّع عامًا ويستقبل عامًا؛ للمراجعة والتدقيق فيما فات، واستصلاح ما هو آتٍ، فهي كالحساب الختامي للعام.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٠٤).
(٢) المصدر السابق (٤/٤٠٥).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٣٥٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن البدع الغريبة الَّتي ابتكرها الغربيُّون، وقلَّدهم فيها ـ للأسف ـ بعض المسلمين: أن يقيم أحدُهم ـ كلَّما انقضت سنة من عمره ـ حفلًا بهيجًا يقدِّم فيه ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، يُسَمِّيه النَّاس: «عيد الميلاد»!

وقد تواضع النَّاس على طقوس وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، كإضاءة شموعٍ بعددِ سنواتِ عُمر «المحتفَى» المختصِّ به أو عقودها، ثمَّ إطفائها في حركة مسرحيَّة، وتبادل التهاني والهدايا بهذه المناسبة.

وكان أولى بالإنسان العاقل ـ بدلًا من هذا التقليد الأعمى الَّذي لا معنى له ولا فائدة منه ـ أن ينتهز هذه المناسبة من انقضاء عامٍ من حياته، ليقف وقفة تأمُّلٍ وتفكير، كما يقف التاجر الواعي على رأس كلِّ عامٍ ليراجع سِجِلَّاته وموجوداته وديونه، ليدرك ما له وما عليه، وليعرف خسائره من أرباحه، سائلًا الله أن يكون يومه خيرًا من أمسه، وغده خيرًا من يومه.

كان أولى بالإنسان العاقل أن يحاسب نفسه على سنة كاملة انسلخت من عمره سيسأله الله تعالى عنها، وهي ليست بالزمن القليل، إنَّها سنة! أي: اثنا عشر شهرًا، الشهر ثلاثون يومًا، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستُّون دقيقة، الدقيقة ستُّون ثانية، كلُّ ثانية فيها نعمة من الله عليه، وأمانة من الله لديه.

كان أولى بهذا الإنسان العاقل: أن يأسى على نفسه، بما انهدم من بنيان عمره، وما طُوِيَ من كتاب حياته، فكلُّ يومٍ يمضي إنَّما هو ورقة من شجرته، قد ذَوَتْ وسقطت.

ورحم الله الحسن البصري حين قال: «يا ابنَ آدم، إنَّما أنت أيام مجموعة، كلَّما ذهب يومٌ ذهب بعضُك»[١]!

وكان أبو عليٍّ الدقَّاق يُنْشد:

كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ يَأْخُذُ بَعْضِي ... يُورِثُ الْقَلْبَ حَسْرَةً ثمَّ يَمْضِي[٢]!

وقال شاعر آخر:

يَسُرُّ المَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيالِي ... وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابَا[٣]

وقال غيره:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطُعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ[٤]

كان هذا أولى بالإنسان العاقل، ولكن العقلاء في الدُّنْيا قليل.

ونظرة إلى المستقبل:

ولا بدَّ من نظرة إلى المستقبل، والإنسان بفطرته مشدود إلى المستقبل، لا يستطيع أن يغفله أو يجعله دبر أذنيه.

وكما رُزِقَ الإنسان ذاكرةً تربطه بالماضي وما فيه، رُزِقَ أيضًا مخيِّلة تصوِّر له المستقبل وما يتوقع فيه.

ومن خصائص المستقبل أنَّه غيب مجهول، لا يعرفه أحد، ماذا يخبِّئ

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٨.

(٢) الرسالة القشيرية (١٥٢/١)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٣) شاهد نحوي، يكثر في كتب النحو، ولا ينسب لقائل، انظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري صـ ٤٢٩، تحقيق د. علي بو ملحم، نشر مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

(٤) كان يزيد الرقاشي يتمثل به، روى ذلك ابن أبي الدنيا في الزهد (٤٣٩).

QaradawiBooks.com

في صدره من أسرار، وماذا يضمر له من خير أو شر: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن خصائصه: أنَّ كلَّ آتٍ فيه قريب، مهما ظنَّ المرء أنَّه بعيد، أو متراخٍ، ولهذا قيل: إنَّ مع اليوم غدًا، وإنَّ غدًا لناظره قريب، وقال الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

والعاقل هو من يأخذ أهبته للمستقبل، ويتهيَّأ للأمر قبل وقوعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

والذين يظنُّون أنَّ الدين يعلِّق الإنسان بالماضي يخطئون فهم جوهر الدين وحقيقته؛ إنَّ مهمة الدين الكبرى هي إعداد الإنسان لحياة الخلود، أي: إعداده للمستقبل، لدار هي خير وأبقى من هذه الدار.

فالنظرة المستقبلية أساسيَّة في أصل الدين.

وفي الحديث: «**إنَّ العبدَ بين مَخَافَتَيْن: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فلْيأخذِ العبدُ من نَفْسِه لنَفْسِه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشَّبِيبَةِ قبل الهَرَم، فوالَّذي نفْسي بيده، ما بعدَ الموت من مُسْتَعْتَبٍ، وما بعد الدُّنْيا من دارٍ إلَّا الجنَّة أو النَّار**»[(١)].

وليس معنى هذا أنَّ الإنسان المتديِّن لا يهتمُّ إلَّا بمستقبله الأخروي، مُغْفِلًا مستقبله الدنيوي، كلَّا، فالمسلم قد علَّمه الإسلام أنْ يحتاط لغده،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٩٧)، عن الحسن البصري عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ويُعِدُّ له عُدَّته، ويأخذ حذره، ويتَّخذ الأسباب المعينة له، وسواء أكان ذلك في أمور الدِّين أم أمور الدنيا.

وإذا كان الرسول هو القدوة العليا للمؤمنين، فنحن نجده يبحث عن مستقبل دعوته حين بايع الأوس والخزرج، وفكَّر في أمر الهجرة، سعيًا وراء قاعدة صلبة لإقامة شريعة الإسلام ومجتمع الإسلام.

وهل كانت بيعة العقبة الأولى ثمَّ الثانية ثمَّ الإعداد للهجرة إلى يثرب إلَّا عملًا دؤوبًا، وتخطيطًا محكمًا لمستقبل الإسلام؟

وفي أمور الدينا نجده ﷺ يدَّخر لأهله قوتَ سَنَة، ولا يرى في ذلك منافاةً للتوكُّل على الله؛ لأنَّه يتنافى مع الأخذ بالأسباب.

الاهتمام بالحاضر:

وإذا كان لا بدَّ للمؤمن من وقفة مع الماضي للاعتبار والاستفادة والمحاسبة، ومن نظرة إلى المستقبل لإعداد العُدَّة، وتهيئة الزاد: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، فلا بدَّ من توجيه اهتمامٍ خاصٍّ إلى الحاضر، إلى الساعة الَّتي نعيشها بالفعل لنغتنمها قبل أن تفلت وتضيع.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في «إحيائه»: «الساعات ثلاث: ساعة لا تعب فيها على العبد، كيفما انقضت، في مشقَّة، أو رفاهية. وساعة مستقبَلة لم تأت بعدُ، لا يدري العبد: أيعيش إليها أم لا، ولا يدري ما يَقضي الله فيها. وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه، ويراقب فيها ربَّه، فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسَّر على فوات هذه الساعة، وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقَّه منها كما استوفى من الأولى، ولا يطول أمله إلى خمسين سنة، فيطول عليه العزم على المراقبة فيها، بل يكون

QaradawiBooks.com

ابن وقته، كأنَّه في آخر أنفاســه وهو لا يدري. وإذا أمكن أن يكون هذا آخر أنفاســه فينبغي أن يكون على وجهٍ لا يكره أن يدركه الموت، وهو على تلك الحالة، وتكون أحواله مقصــورة على ما رواه أبو ذرٍّ رضي الله تعالى عنه من قولِه ﷺ: «**لا يكونُ المؤمــنُ ظاعنًا إلَّا في ثلاثٍ: تــزوُّد لمعادٍ، أو مَرَمَّة لمعاشٍ، أو لذَّة في غير مُحَرَّم**»[(١)].

وما رُوِيَ عنه أيضًا في معناه: «**وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسب فيها نَفْسَه، وساعة يتفكَّر في صنع الله تعالى، وســاعة يخلو فيها للمطعم والمشرب**»[(٢)]. فإنَّ في هذه الساعة عونًا له على بقيَّة الساعات، ثمَّ هذه الساعة الَّتي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب، فإنَّ الطعام الَّذي يتناوله مثلًا، فيه من العجائب ما لو تفكَّر فيه وفطن له، كان ذلك أفضلَ من كثيرٍ من أعمال الجوارح»[(٣)].

وقال الشاعر:

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيدًا مُعَدَّلًا ... وَأَصْبَحْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ شَهِيدُ[(٤)]

فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ... فَثَــنِّ بِإِحْسَــانٍ وَأَنْــتَ حَمِيــدُ

ولا تُرْجِ[(٥)] **فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْمًا إِلَى غَدٍ ... لَعَــلَّ غَــدًا يَأْتِــي وَأَنْــتَ فَقِيدُ**

فَيَوْمُــكَ إِنْ أَعْتَبْتَــهُ عَــادَ نَفْعُــهُ ... عَلَيْكَ وَمَاضِي الْأَمْــسِ لَيْسَ يَعُودُ[(٦)]

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢٩. وفيه: ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) إحياء علوم الدين (٤٠٣/٤).

(٤) شهيد نعت مقطوع، فهو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو عليك شهيد.

(٥) أي: لا ترجئ فعل الخير، بمعنى: لا تؤخِّره.

(٦) الأبيات نسبها البيهقي إلى محمود بن الحســن. انظر: الزهد الكبير صـ ٢٣٥، تحقيق عامر أحمد حيدر، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ومن أروع ما جاء في الحثِّ على العمل للحيـــاة قيامًا بحقِّ الوقت الحاضـــر، هذا الحديـــث النبوي العجيـــب الَّذي مرَّ بنا مـــن قبل، وفيه يقول ﷺ: «**إذا قامت الســـاعةُ وفي يدِ أحدِكم فَسِيلَةٌ** ـ نخلة صغيرة ـ **فإنِ استطاعَ ألَّا يقومَ حتَّى يَغْرِسَها فَلْيَغْرِسْهَا**»[1].

وهنا نقف وقفة تحليليَّة لهذا الحديث البالغ الروعة، ونتساءل: لماذا يأمر الرسول صاحب الفسيلة أن يغرس فسيلته إن استطاع ذلك؟

إنَّه لن يعيش حتَّى يجنـــي ثمرةَ ما غرس، فهو هنـــا لا يغرس اليومَ ليجني في الغد.

وهو لا يغرس ما يغرسُ ليأكلُ منها مَنْ بعده، كما قِيل لشـــيخٍ هَرِمٍ يغرس شجرةَ زيتون: لماذا تغرسُـــها وأنت على حافَّة القبر؟ فقال: غرس لنا من قبلنا فأكلْنا، ونغرسُ ليأكلَ مَنْ بَعْدَنا.

أمَّا في الموقف الَّذي ذكره الحديث فلن يعيش أحد حتَّى يأكل غدًا ما يغرس اليوم؛ فإنَّ الســـاعةَ قد قامت أو أوشـــكت، ولا أمل لأحدٍ في حياة.

إذن لماذا الغرس في هذه اللحظة؟

إنَّ الأمر الواضح هنا أنَّه تكريم للعمل، لذات العمل، انتفع بثمراته أحد أم لم ينتفع، وإشـــعار بأنَّ الإنسان المســـلم لا يدع عمارة الأرض، والإنتاج للحيـــاة، ولا يكفُّ عن العمل والعطـــاء ما دامت الحياة قائمة، وأنَّه لا يجوز أن يعيش بغير عمل لحظة من الدهر، وإن كان إسرافيل قد أمسك بالصور لينفخ فيه، ويتهدم بعدها سرادق الحياة كلها.

(١) سبق تخريجه صـ ٥٥.

QaradawiBooks.com

إنَّ غرس الفسيلة في مثل هذا الموقف يمثِّل القيام بحقِّ الوقت الحاضر، حق اللحظة الواقعة، بغضِّ النظر عن الماضي أو المستقبل.

كيف يطيل الإنسان عمره؟

ممَّا لا شك فيه أنَّ الإنسان بفطرته يحب الحياة، ويحبُّ أن يطول عمره فيها، بل يحبُّ الخلود فيها لو استطاع، ومن باب هذه الغريزة ـ غريزة حب الخلود ـ دخل إبليس إلى أبي البشر آدم، ودلَّاه بغروره ليأكل من الشجرة الَّتي نهي عنها: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠].

والدِّين نفسه يعتبر طُولَ العمر نعمة إذا استُخْدِمَ في نُصرة الحقِّ، وعمل الخير.

سئل النبي ﷺ: أي النَّاس أفضل؟ فقال: «**مَن طال عُمرُه وحَسُنَ عملُه**»[(١)].

ولكن ممَّا لا شك فيه أيضًا: أنَّ الموت قد نغَّص على النَّاس الحياة، فكثيرًا ما اختطف الشاب في ريعان شبابه، والعروس في أوَّل أيام عرسه، والوحيد المدلل من بين يدي أهله، والغني المرفَّه من أحضان نعمته ورفاهيته، والحاكم المرهوب من بين حرسه وحشمه، ولهذا سُمِّي «هَاذِم اللَّذات، ومُفَرِّق الجماعات».

وإذا كان الموت خاتمة المطاف ونهاية الحياة، فالعمر لا ريب جدُّ

(١) رواه أحمد (٢٠٤١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٣٠)، وقال: حسن صحيح. وأبو داود الطيالسي (٩٠٥)، والحاكم في الجنائز (٣٣٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

قصير، مهما طال بالإنسان الأمل، ومُدَّ له في الأجل، إنَّما هو أيام معدودة، وأنفاس محدودة، يقطعها الموت بغير استئذان، ويترك صاحبها في خبر كان.

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِ ... مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا ... حَتَّى يُرَى خَبَرًا مِنَ الْأَخْبَارِ[1]

وفي الحديث الشريف: «**عش ما شئت فإنَّك ميت، وأحبب من شئت فإنَّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنَّك مجزيٌّ به ومسؤول عنه**»[2].

وصدق أبو العَتَاهِيَة حيث قال:

بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ ... عَلَمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يَا ... مِسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لست بالباقي ولو عُمِّـ ... ـرْتَ مَا عُمِّرَ نُوحُ[3]

ولم يستطع الطب الَّذي وصل إلى زرع قلب مكان قلب، ولا العلم الَّذي وصل بالإنسان إلى سطح القمر، أن يقاوم الهرم، ويعيد للشيخ الشباب بعد أن رُدَّ إلى أرذل العمر، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**إنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له دواءً غير داءٍ واحدٍ: الهرم**»[4].

(١) من شعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي في مطلع مرثيته الشهيرة لولده، كما في دمية القصر لأبي الحسن الباخرزي (١٤٠/١)، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣)، عن سهل بن سعد.

(٣) ديوانه صـ ١١٧.

(٤) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، والحاكم (٣٩٩/٤) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، أربعتهم في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

QaradawiBooks.com

وإذا كان عمر الإنسان محدودًا بهذه الصورة، فأنَّى له أن يطلبه، وكيف يستطيع؟

والحق أنَّ العمر الحقيقي للإنسان ليس هو السنين الَّتي يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة، إنَّما عمره الحقيقي بقدر ما يكتب له في «رصيده» عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات.

ولا غرو أنْ تجد إنسانًا يُعمَّر أكثر من مائة سنة، ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفر أو ما دون الصفر، أي: أنَّ رصيده مدين، إذا تحدَّثنا بلغة المصاريف.

وقد يموت إنسان آخر شابًّا، ولكنَّ رصيده في سنيه القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلائل الأعمال.

يقول صاحب الحكم: «ربَّ عمر اتسعت آماده، وقلَّت أمداده، وربَّ عمر قليلة آماده، كثيرة أمداده، من بُورِك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة»[1].

وإذن يستطيع المرء أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله تعالى، والإحسان إلى خلقه، وكلَّما توافر لعمله الإخلاص والإتقان، كان فضله وأجره.

وعلى قدر ما يكون لعمله من الفائدة والتأثير في حياة الآخرين تكون قيمته ومنزلته، كأنْ يدلَّهم على هدًى، أو ينقذهم من ردى، أو يفرج عنهم كربة، أو يرفع عنهم ظلمًا، أو يدفع عنهم عدوًّا، أو غير ذلك من الأعمال الَّتي يتعدَّى نفعها إلى أفراد أو جماعات من النَّاس أو إلى أُمَّة بأسرها.

(١) شرح حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق صـ ٤٣٨، ٤٣٩.

QaradawiBooks.com

ومن هنا كان عمل مثل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله في قمة الأعمال مكانةً عند الله تعالى، يقول رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تبعه، لا يَنْقُص ذلك من أجورهم شيئًا**»(١).

وقال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(٢).

وكذلك عدل الأئمَّة والولاة، لما فيه من إسداء الخير إلى مجموعات كبيرة من البشر، قد تكون شعوبًا وأممًا، ولما فيه من جهادٍ للنفس، ومقاومةٍ لنوازع الهوى، وبواعث المحاباة، أو الجور، ولهذا جاء في الحديث: «**يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عبادة سِتِّين سنة**»(٣).

ومرَّ رجل من أصحاب النبي ﷺ بشِعْب فيه عيينة من ماء عذب، فأعجبته، فقال: لو اعتزلت النَّاس فأقمت في هذا الشِّعب ـ يعني للتعبُّد ـ ولن أفعل حتَّى أستأذن من رسول الله ﷺ. فقال: «**لا تفعلْ؛ فإنَّ مقامَ أحدِكم في سبيلِ الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تُحِبُّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنَّة؟ اغزوا في سبيل الله، مَنْ قاتل في سبيل الله فُوَاقَ ناقةٍ وجبتْ له الجنَّة**»(٤).

---

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٤)، وأحمد (٩١٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩)، وحسَّن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٢٠٥، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٩٨٩)، عن ابن عباس.

(٤) رواه أحمد (١٠٧٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي (١٦٥٠)، وقال: حديث حسن. والحاكم (٦٨/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في الجهاد، عن أبي هريرة. والعيينة: تصغير عين. وفُواق الناقة: ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلب ووضعها. وقيل: ما بين الحلبتين.

QaradawiBooks.com

وهكذا تتفاضل الأعمال وتتفاوت بمؤثرات شتَّى، والسعيد من حرص على الأفضل، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وكم من أناسٍ وفقوا لأعمال كبيرة في أزمنة يسيرة، حتَّى لتحسب إنجازاتهم ضربًا من الخوارق، وما هي بالخوارق، وإنَّما هي البركة والتوفيق.

وحسبنا أنَّ رسول الله ﷺ أخرج النَّاس من الظلمات إلى النور، وغيَّر وجه التاريخ البشري كلِّه إلى اليوم، وإلى ما شاء الله في ثلاث وعشرين سنة، أقام دينًا جديدًا، وربَّى عليه جيلًا فريدًا، وأنشأ أُمَّة مثالية، وأسَّس دولة عالمية، في هذا الزمن اليسير، برغم كل الصعوبات والمعوقات الَّتي اعترضت سبيله من أوَّل يوم.

ولا تقل: إنَّ رسول الله ﷺ مؤيَّد بالمعجزات، فمن مثله؟ وأين نحن منه؟

فالواقع أنَّ حياة رسول الله ﷺ في دعوته وجهاده، كانت تسير على سنن الله المعتادة، ولم تكن معجزته المتحدَّى بها هي الخوارق الكونيَّة، بل القرآن الكريم، وإنَّما تأتي المعجزات في مقام معيَّن بُذِلَت فيه كل الأسباب الممكنة في الأرض، ولم يبق إلَّا عون السماء، كما في تأييد الله له في الهجرة، حين أنزل سكينته عليه وأيَّده بجنود غير مرئية، وكذلك في غزوة بدر بعد أخذ كل الأسباب أمدَّه الله بألف من الملائكة مردفين: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠].

وانظر إلى الخلفاء الراشدين ومن معهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسانٍ كيف فتحوا الآفاق، ونشروا الإسلام، وعلَّموا الأمم، ونقلوها من أديانها الجاهليَّة وعاداتها ولغاتها في عشرات معدودة من

غير مرخصة للطباعة

السنين، حتَّى وقف المؤرخون حيارى أمام هذا الانقلاب الَّذي أحدثه الإسلام في العالم دينيًّا، ونفسيًّا، وفكريًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا، في أقل من قرن من الزمان!

وانظر إلى رجل مثل عمر بن عبد العزيز صمَّم أن يعود بالخلافة إلى رشدها، ويردَّ الحقوق والمظالم إلى أصحابها، ويؤدي الأمانات إلى أهلها، لا تأخذه في الله لومة لائم، فلم تمض سنتان ونصف السَّنَة ـ هي كل مدة خلافته ـ حتَّى ملأ الأرض قسطًا وعدلًا.

ويزداد ثقل العمل في ميزان الحق، وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله كلَّما كثرت المعوقات في سبيله، وعظمت الصوارف عنه، وقلَّ المعين عليه.

ومن هنا كان فضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على من بعدهم؛ لأنَّهم آمنوا والناس كافرون، وصدَّقوا وغيرهم يكذبون، وكذلك كان فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على من بعدهم من الصحابة، ممَّن أسلم بعد الفتح وظهور قوة الإسلام.

وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ولهذا أيضًا كان العمل الصالح أعظم أجرًا، وأرفع قدرًا عند فساد المجتمعات، واضطراب الأحوال: حين يجور الأمراء، ويترف الأغنياء، ويتجبَّر الأقوياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، وهو ما يعبِّر عنه علماؤنا القدامى بـ «ظهور الفتن وفساد الزمان»، وما نعبِّر عنه نحن بـ «الجاهليَّة الحديثة»، فالعاملون

بدين الله ولدين الله في تلك الحـــال كأنَّما هم صحابة جدد، حيث الدين في إدبار، والجاهليَّة في إقبال.

وفي الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**عِبَـــادَةٌ في الهَرْج كهجرةٍ إليَّ**»(١).

قال الحافظ المنذري: «الهرج: هو الاختلاف والفتن، وقد فُسِّـــر في بعض الأحاديث بالقتل؛ لأنَّ الفتن والاختلاف من أسبابه، فأقيم المسبَّب مقام السبب»(٢).

وعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني قال: قلت: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال: سألتَ عنه خبيرًا، سألت عنها رســـول الله ﷺ فقال: «**بل ائْتَمِروا بالمعروف، وتناهَوْا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متَّبعًا، ودُنيا مُؤْثَـــرة، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، ورأيتَ أمـــرًا لا يَدَانِ لك به، فعليك خُوَيْصَّة نَفْسِك. إنَّ من ورائكم أيامَ الصبر، الصبرُ فيهنَّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسين رجلًا يعملون بمِثْلِ عَمَلِه**»(٣).

وذكر في بعض الروايـــات في تعليل هذه المضاعفـــة للأجر بقوله: «**إنَّكم تجـــدون على الخير أعوانًـــا، ولا يجدون على الخيـــر أعوانًا**»(٤).

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤٨)، وأحمد (٢٠٢٩٨)، عن مَعقِل بن يسار.

(٢) الترغيب والترهيب (٥٩/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٣) سبق تخريجه صـ ٥٦. وزاد أبو داود: قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منَّا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم».

(٤) سبق تخريجه صـ ٥٧.

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا أنَّ الحديث خوطب به بعض الصحابة بعد انتشار الإسلام، ودخول النَّاس فيه أفواجًا، ووجود الأعوان على الخير، وإلَّا فإنَّ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يجدوا من يعينهم على الإسلام، بل وجدوا من يحاربهم عليه، ورمتهم العرب عن قوسٍ واحدة، فهؤلاء لا يدانيهم أحدٌ في الفضل.

والحديث يوجب الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما دامت ثَمَّ أذن تسمع، وقلب يعي، وما دام هناك أمل في الاستجابة بصورة من الصور، ولكن حين تغلق الأبواب وتنقطع الأسباب، ويكون الأمر أكبر من طاقة الإنسان واحتماله، كما قال في الحديث: «**ورأيتَ أمرًا لا يدانِ لك به**»، أي: لا طاقة لديك، ولا قدرة لك عليه، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله، ولا يملك المؤمن هنا إلَّا الصبر، حتَّى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

والصبر هنا لا يعني السلبيَّة، إنَّه تربُّص وانتظار مصحوب بغليانٍ نفسيٍّ، كغليان القدر فوق النار، ولهذا جعله الحديث مثل: «**القبض على الجمر**».

وقد يعني الصبر هنا التفكير في عمل طويل النَّفَس، بعيد الأغوار، يؤدي إلى تغيير الأوضاع الفاسدة من جذورها، يتعاون على ذلك المؤمنون الصادقون؛ لأنَّ ما لا يقدر عليه الفرد قد تقدر عليه الجماعة، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ويد الله مع الجماعة، ولعل هذا هو المقصود بالعمل الَّذي يجازى صاحبه عليه بأجر خمسين يعملون مثل عمله، بل أجر خمسين من بعض الصحابة، وهذا يوحي بأنَّ العمل المذكور من نوع عمل الصحابة: من الاستمساك بالحقِّ، والاجتماع على

QaradawiBooks.com

نصرة الإســـلام، ومقاومة الجاهليَّة، وبذل النفس والنفيس في سبيل الله، والصبر والمصابرة على ذلك حتَّى يُتمَّ الله نوره، ولو كره الكافرون.

العمر الثاني للإنسان:

وكذلك يستطيع الإنسان الَّذي رزق التوفيق في إنفاق وقته أن يطيل عمره، ويمدَّ حياته إلى ما شـــاء الله بعد موته، فيحيا وهو مَيِّت، ويؤدِّي رسالة للأحياء وهو مقبور.

وإنَّما يكون ذلك إذا ترك وراءه ما ينتفع النَّاس به بعده من علم نافع، أو عمل صالح، أو أثر طيب، أو سُنَّة حسنة اقتدي بها، أو مؤسسة خيرية ظلَّت تؤتـــي ثمارها من بعـــده، أو ذرية صالحة أحســـن تربيتها فكانت امتدادًا لحياته وحسن سيرته.

وفي هذا روى مسلم من حديث أبي هُرَيْرة عن النبيِّ ﷺ: «**إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالحٍ يدعو له**»[(١)].

وفي حديث آخر تضمَّن تفصيلًا لهذه الثلاث: «**إنَّ ممَّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٤٢)، وابن خزيمة في الزكاة (٢٤٩٠)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٢٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (١٠٢/٧): إسناده حسن أكثر رجاله رجال الصحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وأخرج مسلم في «صحيحه»: «**من سنَّ سُـنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»(١).

وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

والناس متفقون على أنَّ الذكر الحسن الَّذي يتركه الإنسان بعد موته يعتبر عمرًا آخر له: عمرًا غير محدود بعد عمره المحدود، يقول المتنبِّي:

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْـرُهُ الثَّاني وَحَاجَتُه ... مَا قَاتَهُ، وفُضُولِ الْعَيْشِ أَشْغَالُ(٢)

ويقتبس شـوقي هذا المعنى فيصوغه ويقدم له بهذه الصورة الحية، حيث يقول في رثاء مصطفى كامل:

دقَّـاتُ قَلْـبِ الْمَـرْءِ قَائِلَـةٌ لَهُ ... إِنَّ الْحَيَـاةَ دَقَائِـقٌ وَثَـوَانِ
فَارْفَعْ لِنَفْسِـكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا ... فَالذِّكْـرُ لِلْإِنْسَـانِ عُمْرٌ ثَـانِ(٣)

ولا عجب أن كان من دعاء أبي الأنبياء خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وفرق كبير بين من يموت والقلوب عليـه ولهى، والأعين عليه باكية، والألسنة كلُّها تثني عليه بالخير وتدعو له بالرحمة، ومن يموت ولا تبكي عليه عين، ولا يحزن لفراقه قلب، ولا يترحَّم عليه لسان، شأن الَّذين عاشوا في الحياة سلبيِّين، أو ظالمين متجبِّرين، كذلك الَّذي قال فيه الشاعر:

فَذَاكَ الَّذي إِنْ عَاشَ لَمْ يُنْتَفَعْ بِهِ ... وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَحْـزَنْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ

(١) رواه مسلم في العلم (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.
(٢) ديوانه صـ ٤٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
(٣) الشوقيات صـ ٦٠١، تعليق يحيى شامي، نشر دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وكالذين قال الله فيهم: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۞ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٩].

وكثيرًا ما يموت هؤلاء ولا تموت معهم مظالمهم وآثامهم، أو كفرهم وضلالهم، فقد ورَّثوه تلاميذ وأتباعًا لهم، يقتفون آثارهم حذو القُذَّة بالقذة.

وإذا كان من سَنَّ سُنَّة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فإنَّ من سَنَّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وإذا كان من ترك علمًا نافعًا لم ينقطع عمله الصالح، فإنَّ من ترك أثرًا سيِّئًا، وفكرًا مضلِّلًا، لم ينقطع أيضًا عمله الطالح.

وما أنكد حظ أولئك الَّذين واراهم التراب، ولم تزل أعمالهم الآثمة، أو أقوالهم الباطلة، أو أفكارهم الضالَّة المضلَّة، المتمثلة في كتب ومقالات أو أفلام وتمثيليات، أو شرائط ومسجلات، تسري وتعمل عملها في إفساد العقول والقلوب، عمل النار في الهشيم.

وهذا ما جعل الصالحين يقولون: طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، وويل لمن يموت وذنوبه باقية من بعده!

الحذر من الآفات القاتلة للوقت:

هناك آفات كثيرة تضيع على الإنسان وقته، وتأكل عمره، إذا لم ينتبه لخطرها.

من هذه الآفات:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الغفلة:

وهي مرض يصيب عقل الإنسان وقلبه، بحيث يفقد الحسَّ الواعي بالأحداث، واختلاف الليل والنهار، ويفقد الانتباه اليقظ إلى معاني الأشياء، وعواقب الأمور، فهو يعنى بالصور لا بالمعاني، وبالظواهر لا بالحقائق، وبالقشور لا باللباب، وبالبدايات لا بالنهايات.

والقرآن الكريم يُحذِّر من الغفلة أشدَّ التحذير، حتَّى إنَّه ليجعل أهلها حطب جهنَّم، ويجعلهم أضل سبيلًا من الأنعام العجماوات: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ويدين القرآن أولئك الَّذين يهتمُّون بظاهر العلم دون حقيقته ولُبِّه، فيقول: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧].

ويخاطب الرسول فيقول: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ومن البلية حقًّا أنْ تمرَّ بأمتنا الأحداث تزلزل الجبال فلا تعتبر، ولا تتغيَّر، ولا تحرِّك سواكنها، كأنَّما هي مسرحية تمثل، أو تمثيلية تؤدَّى.

ومن هنا كان من دعاء السلف: «اللهمَّ لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرَّة، ولا تجعلنا من الغافلين».

QaradawiBooks.com

وكان سهل بن عبد الله يقول: احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: القراء ـ يعني: العلمـــاء ـ المداهنين، والمتصوِّفـــة الجاهلين، والجبابرة الغافلين[١].

التسويف:

وثمت آفة أخرى من أشـــدِّ الآفات خطرًا على انتفاع الإنسان بيومه وحاضره، وهي التسويف والتأجيل، حتَّى تصبح كلمة «سوف» شعارًا له وطابعًا لسلوكه.

قيل لرجل من عبد القيس: أوصنا. فقال: احذروا سوف.

وقال آخر: سوف جند من جند إبليس[٢].

فمن حقِّ يومك عليـــك أن تغمره بالنافع من العلـــم، والصالح من العمل، ولا تســـوِّف إلى غدٍ حتَّى يفلت منك حاضـــرك فيصبح ماضيًا لا يعود أبدًا، فعليك أن تزرع في يومك لتحصـــد في غدك، وإلَّا نَدِمت حيث لا ينفع الندم.

فَمَا لَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ شَيْءٌ سِوَى الَّذِي تَزَوَّدْتَهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ إِلَى الْحَشْـــرِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيـــطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ[٣]

وكتب مُحَمَّد بن سمُرة الســـائح إلى يوسف بن أسباط بهذه الرسالة: «أي أخي! إياك وتأمير التســـويف على نفســـك، وإمكانه من قلبك، فإنَّه محل الكلال، وموئل التلف، وبه تُقْطَع الآمال، وفيه تنقطع الآجال، فإنك

(١) إحياء علوم الدين (١٧٢/٢).

(٢) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (٢٠٠)، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧هـ.

(٣) من شعر دعبل. انظر: الدر الفريد (٣٦٣/٢).

QaradawiBooks.com

إن فعلت ذلك أَدَلْتَ من عزمك، فاجتمع وهواك عليه فعَلَاه، واسترجعا من يديك من السآمة ما قد وَلَّى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة. وبادر يا أخي فإنَّك مبادَر بك، وأسرع فإنَّك مسروع بك، وجِدَّ فإنَّ الأمر جِدٌّ، وتيقَّظ من رقدتك، وانتبه من غفلتك، وتذكَّر ما أسلفت وقصَّرت، وفرَّطت وجنيت وعملت، فإنَّه مثبت محصى، فكأنَّك بالأمر قد بغتك، فأغبطت بما قدَّمت، أو ندمت على ما فرَّطت»[1].

آفات التسويف:

وفي التسويف وتأخير واجب اليوم إلى الغد آفات:

أولها: أنَّك لا تضمن أن تعيش إلى الغد.

دعا أحد الأمراء رجلًا صالحًا إلى الطعام، فاعتذر بأنَّه صائم، فقال الأمير: أفطر وصم غدًا. قال: وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد؟

وليت شعري من يضمن لأحدٍ أن يعش إلى غده، والموت يأتي بغتة، وهو يأتي بأسباب شتى؟ وقد قال الشاعر الصالح:

تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ... إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ سَلِيمٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
وَكَمْ مِنْ فَتًى يُمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا ... وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهو لَا يَدْرِي[2]

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل صـ ١٤٢، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) ذكر الفاكهاني البيتين الأولين ولم ينسبهما في رياض الأفهام (١٧٠/٣)، تحقيق نور الدين طالب، نشر دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، والبيت الأخير ذكره من غير نسبة الألوسي في تفسيره روح المعاني (٤٨٢/١٠)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

وموت الفجأة في عصرنا أكثر منه في أيِّ عصرٍ مضى، برغم تقدُّم الطب والعلم، ولكنَّ الطبَّ لم يمنع الموت بالسكتة والذبحة وغيرها، والعلم لم يمنع الموت بسبب الحوادث الَّتي لا تحصى كل يوم من جراء أدوات الحضارة: السيارات، والطيارات، والآلات، والأجهزة الميكانيكية، والكهربائية، وغيرها، بل العلم هو الَّذي هيَّأ الموت بهذه الأسباب، حيث كان الإنسان قبل عصر الصناعة في أمان منها.

ثانيًا: أنَّك إن ضمنت حياتك إلى الغد فلا تأمنُ المعوِّقات من مرضٍ طارئ، أو شغلٍ عارض، أو بلاءٍ نازل، ولهذا كان الحزم أن تبادر إلى فعل الخيرات، وأداء الواجبات، وكان العجز أن تسوِّف وتؤجِّل حتَّى تفوتك الفرصة، وتشكو من الغصَّة. كما قال الشاعر:

ولا أُؤَخِّرُ شُغلَ الْيَوْمِ عَنْ كَسَلٍ إِلَى غَدٍ إِنَّ يَوْمَ الْعَاجِزِينَ غَدُ[1]

وقال آخر:

عَلَيْكَ بِأَمْرِ اليَوْمِ لَا تَنْتَظِرْ غَدًا فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ حَادِثٍ بِكَفِيلِ

وقد وعظ النبيُّ ﷺ رجلًا فقال له: «**اغتنمْ خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحَّتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابك قبل هَرَمِك، وغناك قبل فَقْرِك**»[2].

وقال أحد العلماء لبعض الشباب: اعمل قبل ألَّا تستطيع أن تعمل، فأنا أبغي أن أعمل اليوم فلا أستطيع.

(١) عنوان البيان وبستان الأذهان صـ٤٢.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٤.

QaradawiBooks.com

وكانت حفصةُ بنت سيرين تقول: يا معشرَ الشباب، اعملوا، فإنَّما العمل في الشباب[١].

ثالثًا: أنَّ لكلِّ يومٍ عملَه، ولكلِّ وقت واجباته، فليس هناك وقت فارغ من العمل، ولمَّا قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة العمل: أخِّر هذا إلى الغد. فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع عليَّ عمل يومين[٢]؟!

وقال ابن عطاء في «الحكم»: «حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إنَّه ما من وقت يرد إلَّا ولله عليك فيه حق جديد، وأمر أكيد، فيكف تقضي حقَّ غيره وأنت لم تقض حق الله فيه»[٣]؟!

رابعًا: أنَّ تأخير الطاعات والتسويف في فعل الخيرات يجعل النفس تعتاد تركها، والعادة إذا رسخت أصبحت طبيعة ثابتة يصعب الإقلاع عنها، حتَّى إنَّ المرء ليقتنع عقليًّا بوجوب المبادرة إلى الطاعة وعمل الصالحات، ولكنَّه لا يجد من إرادته ما يعينه على ذلك، بل يجد تثاقلًا عن العمل، وإعراضًا عنه، وإذا خطا يومًا إليه خطوة كان كأنَّما يحمل على ظهره جبلًا!

ومثل ذلك نجده عند التسويف في التوبة من المعاصي والمخالفات، فإنَّ النفس تعتاد ارتكاب الذنوب، والتقلُّب في الشهوات، حتَّى يعسر

(١) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٩٠).

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ٥٥، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٩م.

(٣) شرح حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق صـ ٣٦٦.

QaradawiBooks.com

فطامها عنها، فإنَّها في كل يوم تزداد شغفًا بها، وملاصقة لها، ويزداد حجم المعصية، ويتفاقم أثرها في القلب حتَّى يغشاه سوادها، ويعمه ظلامها، فلا ينفذ إليه شعاع من هدى، أو بصيص من نور.

وفي الحديث: «**إنَّ المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت، حتَّى يغلَّف بها قلبه، فذاك الران الَّذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾** [المطففين: ١٤]»[(١)].

خامسًا: أنَّ العمل هو مهمة الإنسان الحي، فالمرء الَّذي لا يعمل لا يستحق الحياة، والعمل مطلوب من الإنسان ما دام فيه عرق ينبض، سواء كان عملًا دينيًّا أم دنيويًّا.

ومن الحكم المأثورة المشهورة عند المسلمين: اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدًا[(٢)].

سبُّ الزمان:

ومن الآفات المحذورة، والسلبيات العائقة، إلقاء اللوم على الدهر، ودوام الشكوى من ظلم الزمان وقسوة الأيام، حتَّى إنَّ بعضهم ليتصوَّر الزمان أو يصوِّره خصمًا يضطهده، أو عدوًّا يتربص به، أو حاكمًا ظالمًا يعاقب البريء، ويدلل المسيء، ويتحيَّز لزيد ضدَّ عمرو، بلا سبب إلَّا اتباعًا للهوى، أو متصرفًا أعمى يضرب ضربات عشواء، تصيب مرَّة وتخطئ مرَّات.

---

(١) رواه أحمد (٧٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. والترمذي في التفسير (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والطبري في تفسيره (٢٦٧/١)، والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) كما في البغية، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبويَّة، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

وهذا كله من آثار النظرة الجبرية الَّتي يحاول الأفراد والمجتمعات أن يبرئوا فيها أنفسهم، ويتهرَّبوا من تحمُّل التبعة عن أعمالهم وأخطائهم، وأن يُحمِّلوا وزرها لغيرهم، فيلقيها بعضهم على بعض، أو يلقوها على الزمان، أو القدر، أو الحظ، أو الظروف، أو غير ذلك.

وكان الواجب عليهم أن ينظروا فيما نزل بهم من نقمة، وما سلب منهم من نعمة، ويحلِّلوه تحليلًا أعمق من النظر السطحي، يربط المسببات بالأسباب، والنتائج بالمقدِّمات، وَفقًا لسنن الله تعالى في خلقه، فالزمن ليس إلَّا وعاءً للأحداث الَّتي يجريها الله حسب نواميسه وسننه، وهذا معنى الحديث الصحيح: «**لا تسبُّوا الدهر، فإنَّ الله هو الدهر**»[1]، أي: هو واضع السنن ومجريها.

ولمَّا انكسر المسلمون في أحد ومعهم رسول الله ﷺ، واستشهد منهم سبعون من أبطال الصحابة، وتساءلوا عن سبب ما أصابهم من قرح وبلاء، كان الجواب القرآني: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

والقرآن يقرِّر هذه القاعدة العامة حين يقول: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**﴾ [الأنفال: ٥٣].

ومن هنا كان الأولى أن يرجع النَّاس على أنفسهم باللائمة، محاولين تقويم العوج، وإصلاح الفساد، بدل لوم الدهر، وعيب الزمان، كما قال القائل:

إنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ[2]

(١) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، عن أبي هريرة.

(٢) هو ابن حسان الموصلي. انظر: الدر الفريد (٤٠٩/٤).

QaradawiBooks.com

وقال غيره:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا ... وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بنَا هَجَانَا[1]

ولا يخفى أنَّ بعض الشعراء والأدباء يغلِّفون تمرُّدهم على فساد المجتمع وجور الحكام بالشكوى من الزمان، وما يقصدون بالزمان إلَّا أهله وأصحاب السلطان فيه، كقول أحدهم:

سَأَلْتُ زَمَانِي وَهْوَ بِالْجَهْلِ مُولَعٌ ... وَبِالسوءِ مَزْهُوٌّ وبِالْخُبْثِ مُخْتَصُّ
فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى الْعُلَا؟ ... فَقَالَ: سَبِيلَاهُ: الْجَهَالَةُ وَالنَّقْصُ[2]

ولهذا يحكون عن بعض جبابرة الملوك أنَّه قال: الزمان هو السلطان، فمن سبَّ الزمان فقد استوجب العقاب.

إنَّ واجب المؤمن إذا نزل به ما يكره، أن يرجع إلى نفسه، فيما سببها، وإلى ربه، فيقرع بابه بالتوبة والاستغفار، ويقول ما قال أبواه ـ آدم وحواء ـ حين أخرجا من الجنَّة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وما قاله موسى كليم الله حين رجع إلى قومه من مناجاة ربه، فوجدهم قد ضلوا من بعده، واتخذوا عجلًا جسدًا له خوار، لا يكلِّمهم ولا يهديهم سبيلًا، ولم يسمعوا لنصح أخيه هارون، بل استضعفوه،

(١) يروى للشافعي. انظر: عيون الأخبار (٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) نسبه بلفظ قريب الثعالبي إلى أبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن علي بن الحَرِيش الأصبهاني، انظر: يتيمة الدهر وأعيان العصر (٥/١٣٢)، تحقيق د. مفيد محمد قمحية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

وكادوا يقتلونه، هنالك توجَّه إلى الله تعالى بالتضرُّع والدعاء، قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وما قال الربانيون حين استشـــهد منهم من استشهد: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

* * *

غير مرخص للبيع
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾	١١١، ١١٢	٥٩
﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾	١٤٨	٢٦
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ ﴾	١٥٥، ١٥٦	٣٣
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾	١٧٠	٤٩، ٥٠
﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾	١٨٥	٣٢
﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾	١٩٧	١٥، ٣٢
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾	٢٠١	١٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢١٨	٦٠
سورة آل عمران		
﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٤	٢٦
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾	١٣٣	٢٦
﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٣٧	٦٢
﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾	١٤٠	٦٢
﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾	١٤٦ ـ ١٤٨	٦٢، ٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	١٥٦	٥١
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾	١٦٥	٨٩
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾	١٩٠ ـ ١٩٤	١٠، ٢٨
سورة النساء		
﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٣٦	٤٤، ٤٥
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾	١٠٣	٣٢
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾	١٢٣، ١٢٤	٥٩
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	٢٧
سورة المائدة		
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾	٤٨	٢٦
﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	١٠٤	٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	٧٨
سورة الأنعام		
﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾	١٤١	١٥، ٣٢
﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾	١٥٨	٥٥
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٩٠
﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١، ٣٢	٤١
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٥٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾	٧٠	٥٠
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٥١	٩١
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	١٥٦	٥٩
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٨٣
﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾	١٨٧	٥٥
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾	٢٠٥	٨٣
سورة الأنفال		
﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾	١٠	٧٦
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	٥٣	٨٩
سورة التوبة		
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٣٦	٣٦
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾	٥٤	٢٧
سورة يونس		
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾	٤٥	١٧
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٢
سورة هود		
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٣٩
﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾	٦٢	٥٠
﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾	٨٧	٥٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٥٣
سورة إبراهيم		
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾	٣٣، ٣٤	٤، ١١
سورة الحجر		
﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٥٤
سورة النحل		
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٤٤
﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	٦٨
سورة الكهف		
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾	٢٨	٨٣
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾	٤٩	٤، ٨
سورة طه		
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾	١١٤	٤٣
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾	١٢٠	٧٢
سورة الأنبياء		
﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾	٥٢، ٥٣	٥٠
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾	٩٠	٢٦
سورة الحج		
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ﴾	٤٦	٥٢، ٦٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾	٢	٤٤
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾	٩	٤٤
سورة النور		
﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾	٣٧	٤٢
﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	٤٤	٢٨
﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾	٥٨	٤١
سورة الفرقان		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾	٦٢	٤، ١١
سورة الشعراء		
﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	٨٤	٨١
سورة القصص		
﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾	٦٨	٣٤
سورة الروم		
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	٦، ٧	٨٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾	٥٤	١٢
سورة لقمان		
﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾	٣٤	٦٨
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾	٣٦	٤٩
﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾	٦٣	٥٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة الكترونية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾	١٥	٣٣
سورة فاطر		
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾	٣٦، ٣٧	١٩
سورة يس		
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾	١٢	٨١
سورة ص		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	٢٩	٣٨
سورة الزمر		
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾	١٧، ١٨	٧٦
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٣٣
سورة فصلت		
﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٦٠
سورة الشورى		
﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	١٧	٥٥
سورة الزخرف		
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾	٢٣	٥٠
﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾	٢٤	٥٠
سورة الدخان		
﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	٢٥ ـ ٢٩	٨٢

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾	١٥	٤٤
سورة الذاريات		
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ﴾	١٥ ـ ١٨	٣٤
سورة الرحمٰن		
﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾	٨، ٩	٤٣
سورة الحديد		
﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾	١٠	٧٧
﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٢١	٢٦
سورة الحشر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	١٨	٦٨، ٦٩
سورة المنافقون		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾	٩، ١٠	١٩
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	١٩
سورة القيامة		
﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	٨١
سورة النازعات		
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾	٤٦	١٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المطففين		
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾	١٤	٨٨
﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾	٢٦	٢٦
سورة الفجر		
﴿وَٱلْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾	١، ٢	١١
سورة الليل		
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾	١، ٢	١١
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	١، ٢	١١
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾	١ – ٥	٣٦
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ﴾	١، ٢	١١
سورة الماعون		
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٤، ٥	٤٤

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا قامت الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فَسِيلَةٌ	٥٥، ٧١
إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به	٨٠
إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء	٤٣
أصبحنا وأصبح المُلْك لله، والحمد لله، لا شريك له، لا إلٰه إلَّا هو، وإليه النشور	٣٨
أَعْذَرَ اللهُ إلى امرئٍ أمهله حتَّى بلَّغه سِتِّين عامًا	٢٠
اغتنمْ خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحَّتك قبل سقمك	٢٤، ٨٦
أقربُ ما يكون الربُّ من العبد في جوفِ الليلِ الآخِرِ	٣٤
اللهمَّ اجعلْ خيرَ عمري آخره، وخيرَ عملي خواتمه، وخيرَ أيامي يوم ألقاك	٣٦
اللهمَّ إنَّ هذا إقبالُ لَيْلِك، وإدبارُ نهارِك، وأصواتُ دعاتِك فاغفرْ لي	٤٢
اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَنِ، وأعوذ بك من العَجْزِ والكَسَل	٢٦
اللهمَّ باركْ لأُمَّتي في بكورها	٣٧
اللهمَّ ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدَك	٣٨
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء	٤٠
إنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له دواءً غير داءٍ واحدٍ: الهرم	٧٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ اللهَ يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يُتْقِنَه	٤٠
إنَّ الدِّين يُسْر، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسَدِّدوا وقاربوا وأبشروا	٣٠
إنَّ العبدَ بين مَخَافَتَيْن: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه	٦٨
إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله	٧٥
إنَّ لبدنك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لزَوْرِكَ عليك حقًّا	٣٠
إنَّ لربِّكم في أيام دَهْرِكم نفحات، فتعرَّضوا لها	٣٣
إنَّ ممَّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره	٨٠
إنَّ من غدا إلى الجمعة في الساعة الأولى كان كمن قدَّم بَدَنَةً	٣٤
إنَّ من ورائكم أيامَ الصَّبْر، الصبرُ فيهنَّ مِثْلُ القَبْضِ على الجمر	٥٦، ٧٨
إنَّ المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه	٨٨
إنَّكم تجدون على الخير أعوانًا، ولا يجدون على الخير أعوانًا	٧٥، ٧٨
إنَّما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر	٣٠
ب	
بادروا بالأعمال سبعًا هل تنظرون إلا إلى فقرٍ مُنْسٍ، أو غِنًى مُطْغٍ	٥
بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجلُ مؤمنًا ويُمْسي كافرًا	٥٦
باسمك رَبِّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفرْ لها	٤٥
بعثت أنا والساعة كهاتين	٥٥
ت	
تلك صلاةُ المنافق، يجلسُ يرقُب الشمس حتَّى إذا كانت بين قرني الشيطان	٤٢
ح	
حتَّى ينفجرَ الفَجْرُ	٣٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خ	
خُذُوا من الأعمال ما تُطِيقون، فإنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّى تَمَلُّوا	٢٩
س	
ستكون بعدي فتنٌ كقِطَع اللَّيْلِ المُظْلِم. قلتُ: وما المخرجُ منها يا رسولَ الله؟	٥٦
ع	
عِبَادَةٌ في الهَرْج كهجرةٍ إليَّ	٧٨
عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أَمْرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمن	٣٣
عش ما شئت فإنَّك ميت، وأحبب من شئت فإنَّك مفارقه	٧٣
على كلِّ مسلمٍ صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدَّق	٤٠
ك	
كل سُلامى من النَّاس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس	٤٠
الكلمةُ الحكمةُ ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها	٦٣
الكَيِّسُ من دان نَفْسَه وعمل لما بعد الموت	٥٩
ل	
لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسأل عن أربعِ خِصَالٍ	٥، ١٢
لا تسبُّوا الدهر، فإنَّ الله هو الدهر	٨٩
لا يكونُ المؤمنُ ظاعنًا إلَّا في ثلاثٍ: تزوُّد لمعادٍ، أو مَرَمَّة لمعاشٍ	٧٠
م	
ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام. يعني: العشر	٣٥
من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَنْ تبعه	٧٥
من سنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة	٨١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تَقَدَّم من ذنبه	١٤
مَن طال عُمرُه وحَسُنَ عملُه	٧٢
المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ	٥١
ن	
نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن	٥٧
نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس	٢٣
هـ	
هل تنتظرون إلَّا غنًى مُطغِيًا، أو فقرًا مُنسيًا، أو مرضًا مُفسدًا	٢٧
هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟	٣٤
و	
ومَن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذَنْبِه	١٤
ي	
يا حنظلةُ، لو بَقيتُم على الحال الَّتي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكةُ	٣٠
يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَد	٣٧
ينبغي للعاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا على عقله ـ أن يكون له أربعُ ساعات	٢٨، ٦٤، ٧٠
يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عبادة سِتِّين سنة	٧٥

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة الطبعة الثانية** ٧

• **مقدمة الطبعة الأولى** ٩

❖ **عناية القرآن والسُّنَّة بالوقت** ١١

شعائر الإسلام وآدابه تُؤكِّد قيمة الوقت ١٢

خصائص الوقت ١٥

١ ـ سرعة انقضائه ١٥

٢ ـ أنَّ ما مضى منه لا يعودُ ولا يُعَوَّض ١٧

٣ ـ أنَّه أنفس ما يملك الإنسان ١٨

واجب المسلم نحو الوقت ٢٠

الحرصُ على الاستفادة من الوقت ٢٠

قَتَلَةُ الوقت ٢٢

اغتنام الفراغ ٢٣

المسارعة في الخيرات ٢٥

الاعتبار بمرور الأيام ٢٧

تنظيم الوقت ٢٨

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

لكلِّ وقتٍ عملُه ٣١
تحرِّي الأوقات الفاضلة ٣٣
وأهميَّتها لأمرين ٣٥
نظام الحياة اليومي للمسلم ٣٧
❖ **وقت الإنسان بين الأمس واليوم والغد** ٤٧
المتعلِّقون بالماضي ٤٧
المتعبِّدون للمستقبل ٥٢
النظرة السلبيَّة إلى المستقبل: نظرة اليأس والتشاؤم ٥٣
مواجهة المستقبل بالأماني والأحلام ٥٧
عُشَّاق اللحظة الحاضرة ٦٠
النظرة الصحيحة إلى الزمن ٦٢
لا بدَّ من نظرة إلى الماضي ٦٢
ونظرة إلى المستقبل ٦٧
الاهتمام بالحاضر ٦٩
كيف يطيل الإنسان عمره؟ ٧٢
العمر الثاني للإنسان ٨٠
الحذر من الآفات القاتلة للوقت ٨٢
الغفلة ٨٣
التسويف ٨٤
آفات التسويف ٨٥
سبُّ الزمان ٨٨
❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ٩٥
❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ١٠٣
❖ **فهرس الموضوعات** ١٠٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com